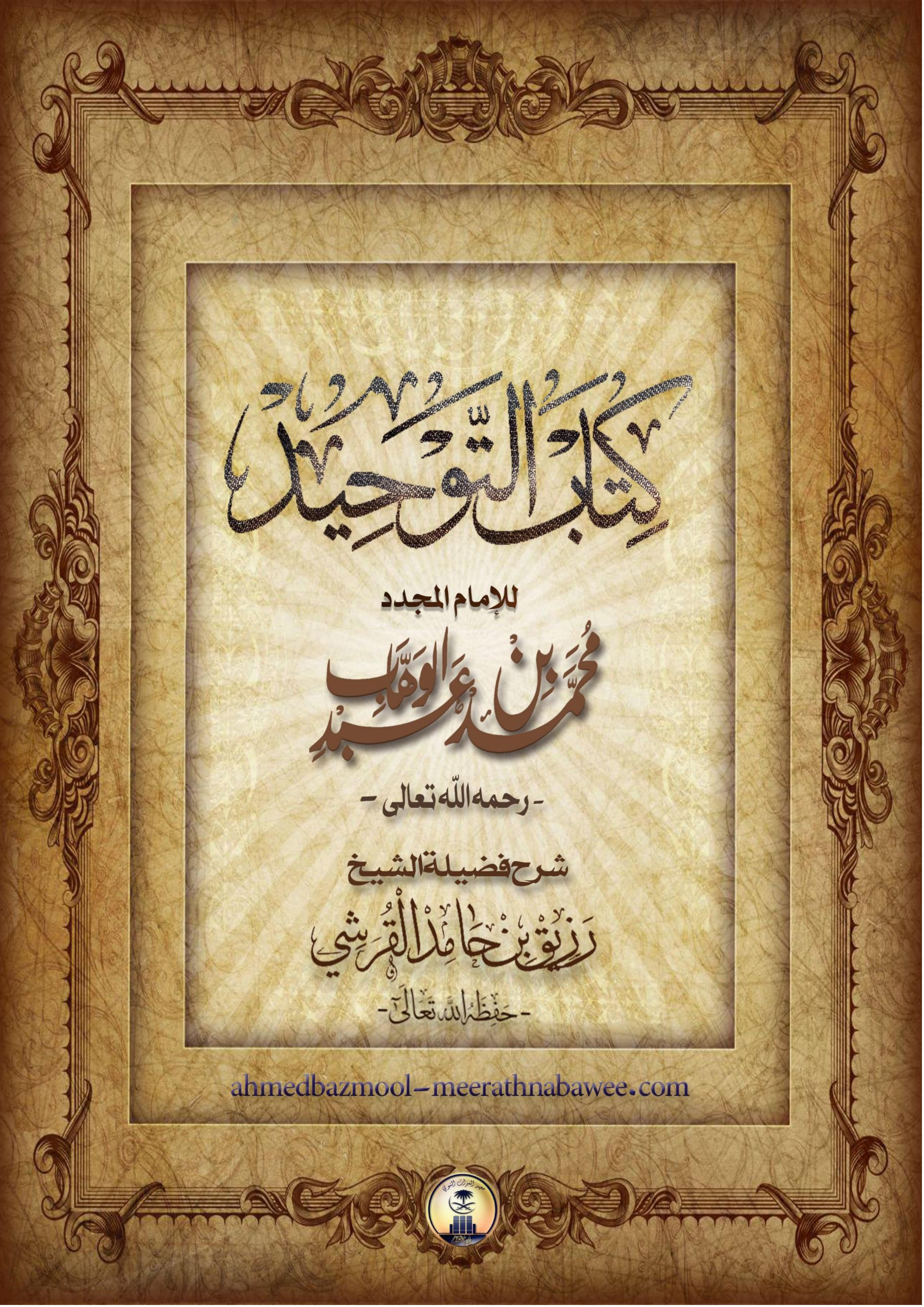
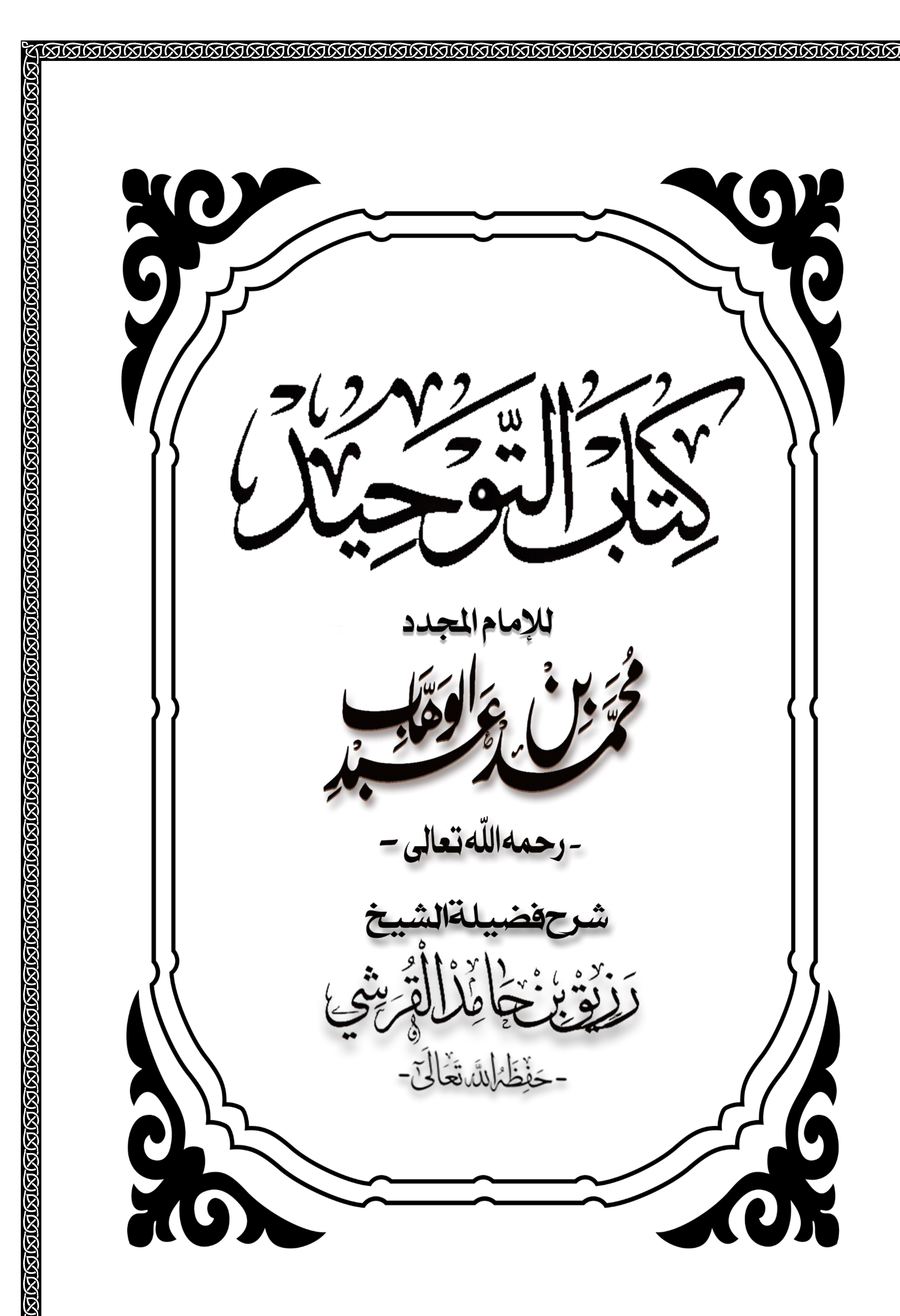


كتاب التوحيد
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله تعالى -
شرح فضيلة الشيخ
رزيق بن حامد القرشي
- حفظه الله تعالى -
ahmedbazmool-meerathnabawee.com


كتاب التوحيد
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله تعالى -
شرح فضيلة الشيخ
رزيق بن حامد القرشي
- حفظه الله تعالى -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

أمَّا بعدُ :

فنحمد الله ﷻ الذي يسر لنا هذه اللقاءات الطيبة والمباركة والدروس النافعة بإذن الله ﷻ عبر هذا المعهد المبارك معهد الميراث النبوي ، والذي – ولله الحمد والمنة – قد ذاع صيته وذاع جهده وعُرِف فضله – ولله الحمد والمنة – ، فيما يقوم به هذا المعهد من نشر العلم المُؤصَّل بالكتاب والسنَّة وما كان عليه سلف هذه الأمَّة .

وفي هذا اليوم المبارك – وهو اليوم الخامس من شهر ربيعٍ الثاني – نبدأ مستعينين بالله ﷻ في هذا الكتاب العظيم وهو "كتاب التوحيد " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ؛ وهذا الكتاب غنيٌّ عن التعريف لما له من القبول عند أهل العلم وطلبة العلم ، ويدل على هذا أن هذا الكتاب له من الشروح المطبوعة والمخطوطة الكثير والكثير جدًّا فقد قارب المطبوع إلى ستين شرحا غير المخطوط ، وهذا فضلٌ من الله ﷻ ودليلٌ على قبول هذا الكتاب الذي بذل فيه الإمام وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب جهدًا عظيمًا واستخلصه من كتاب الله ومن سنَّة النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – .

وفي الحقيقةِ هذا الكتاب أُشَبِّهُه بكتاب الإمام البخاري – رحمه الله – ، حيث أن الإمام البخاري – رحمه الله – بَوَّب كتابه الصحيح وجعله كُتبًا وأبوابًا ، ولذلك الناظر في طريقة الإمام البخاري – رحمه الله – في تبويب صحيحه يجد أن هذه الأبواب تحملُ الفقه المراد من الأحاديث والآيات التي تحت هذا العنوان ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – عندما ينظر طالب العلم في طريقته في تبويب هذا الكتاب " كتاب التوحيد " وجَعْلِهِ أبوابًا يجد أن هذه الأبواب فيها فقهٌ عقديٌّ عظيم جدًّا ، ولذلك يدل على فقه العنوان ما يسرده تحت هذا العنوان من آيات وأحاديث وآثار – فرحمه الله رحمةً واسعة وغفر له وجمعنا به يوم القيامة – .

وفي الحقيقة نحن في صدد شرح لهذا الكتاب المبارك ، وأعتذر مَقدَّمًا أنني لا أستطيع أن آتي على كل ما يحمل هذا الكتاب وإنما جهد المُقِل ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا ما نقدمه وأن يعفوَ عن الخطأ ، وأريد قبل أن أبدأ

أننا في هذا الفصل المبارك أن أبين أننا نريد أن نشرح من هذا الكتاب في هذا الفصل أو في هذا " التيرم " كما يسمونه عشرة أبواب ، وأريد حقيقةً التركيز على الأبواب والاستفادة ثم بعد ذلك يكون الاختبار كالعادة أو كما تقرر إدارة هذا المعهد – جزاهم الله خيرًا – ، فأيضًا أزف لكم بشرى أن الشيخ أحمد بازمول – وفقه الله – سيبدأ غدًا في استكمال دروسه ، ونسأل الله ﷻ لنا وله ولإخواننا الإعانة وأن تكون فاتحةُ خيرٍ وبركة في هذا الفصل القادم .

نبدأ مستعينين بالله في هذا الكتاب وهو أول باب قال :

(كتاب التوحيد)

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ 56 ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ 57 ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ 58 ﴾ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ 36 ﴾ ﴾ [2]

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ 23 ﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿ 24 ﴾ ﴾ [3]

وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [4]

---

[1]) سورة الذاريات [الآيات : 56–57–58] .

[2]) سورة النحل [الآية : 36] .

[3]) سورة الإسراء [الآيتين 23 – 24] .

[4]) سورة النساء [الآية : 36]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿151﴾ ﴾ [5].

وَعَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ : (كُنْتُ رَدِيف النَّبِي – صلى الله عليه وآله وسلم –عَلَى حِمَارٍ ، فَقَالَ لِي : يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ ؟ وَمَا حَقُّ العَبِيدِ عَلَى الله ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّب مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) [6] أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

المؤلف – رحمه الله وغفر له – استدلّ تحت هذا العنوان "كتاب التوحيد " بهذه الآيات الكريمة التي هي تقريرٌ لتوحيد الله ﷻ ، وبيان أنّ الله ﷻ لم يخلق النّاس عبثًا ولا هملًا ؛ وإنّما خلقهم لغاية وهي لعبادته ﷻ ، وإفراده بالعبادة ، وإخلاص العبودية لله ﷻ .

ومعنى قوله – جلّ وعلا – : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ 56 ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ 57 ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ 58 ﴾ ﴾ [7]؛ يخبرنا الله ﷻ أنّه هو الذي أوجد الجن والإنس ، وأنّ الحكمة من إيجادهم هي إفراده بالعبادة والكفر بما سواه ، وأنّه لم يَخلُقهم لمصلحةِ نفوذٍ لذاته وإنّما أوجدهم للعبادة وتكفّل بأرزاقهم ، وهو صادق لوعده قادرٌ على تحقيقه لأنه قويٌّ متين ، وفي هذه الآية أسرد لكم ما فيها من الفوائد وهي فوائد كثيرة منها :

– أن الحكمة في خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة .

– ومنها : إثبات وجود الجنّ .

– ومنها : كمال غنى الله ﷻ عن خلقه .

– ومنها أيضًا : أن مصدر الرزق من الله ولكن العبد مأمورٌ بفعل الأسباب .

– ومنها : إثبات اسمين من أسماء الله وهما : الرزاق والمتين .

---

[5]) سورة الأنعام [الآية :151]

[6]) أخرجاه في الصحيحين .

[7]) سورة الذاريات [الآيات : 56-57-58] .

وفي هذا دِلالة الآية الكريمة على أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة والكفر بما سواه ، وهنا عندما ذكر اسمين من أسماء الله ﷻ الرزاق والمتين ، نريد أن نبدأ بقاعدة تكون معنا في هذه الدروس وهي أن أسماء الله ﷻ وصفاته لابد من الإيمان بها ؛ هذا أولًا ، ثم الإيمان بما دلت عليه من المعاني ، ثم تفويض الكيفية لله ﷻ لا ندخل في صفاته

– كيف ؟

– ولِمَ ؟

هذه الأمور لابد أن تكون معنا حتى ننتهي من العشر الأبواب لا نحتاج إلى الرجوع ، عندما نذكر صفة من صفات الله أو اسم من أسماء الله ؛ أن هذه القاعدة عندنا الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته ، والإيمان بما دلت عليه من المعاني ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، هذه قاعدة لابد أن تكون معنا حتى ننتهي من هذه العشر الأبواب ثم نبدأ بغيرها ، بل لابد أن تكون هذه القاعدة محفوظة عند العبد إلى أن يموت ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي معنى توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته .

ثم قال – جل وعلا – : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ 36 ﴾ ﴾ ([8]) .

معنى قوله تعالى ﴿ بَعَثْنَا ﴾ : أي أرسلنا ، والرسول : هو من أُوحِي إليه بشرع وأُمِر بتبليغه ، و﴿ رسول ﴾ : هنا نكرة تعم جميع الرسل ، ومعنى ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ : أي وحدوه بجميع أنواع العبادة ،

و العبادة لغةً : التذلل ، العبادة لغةً : التذلل لله ﷻ .

ومعنى قوله : ﴿ اجْتَنِبُوا ﴾ : أي ابتعدوا ! أي ابتعدوا ! و﴿ الطَّاغُوتَ ﴾ : هو كل ما تجاوز به العبد حده ؛ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله ، والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة :

- إبليس لعنه الله .
- ومن غيَّر أحكام الله .
- ومن حكم بغير ما أنزل الله .

[8]) النحل [الآية : 36] .

- ومن دعا إلى عبادة نفسه .

- ومن عُبِد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة .

ومعنى ﴿ هَدَى اللَّهُ ﴾ : أي وفقه للخير ، معنى ﴿ هَدَى اللَّهُ ﴾ في الآية : أي وفقه للخير .

– ومعنى قوله تعالى : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ : وجبت وثبتت لكفره وعناده ، والضلالة : هي الكفر .

– ومعنى ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ : أي سيروا سَير اعتبارٍ وتفكُّر ، سَير اعتبارٍ وتفكُّر في هذا الخلق الذي خلقه الله .

– ومعنى قوله : ﴿ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : من الأمم السابقة ؛ كعادٍ وفرعون وما وقع بهم من عاقبة التكذيب .

– وفي هذه الآية أيضًا نجد فوائد – وأنا أريد أن تحرصوا على الفوائد في الآيات ؛ لأنها دِلالات ومعاني فقهية في هذه .. وعقدية في هذه الفوائد – فمن الفوائد في هذه الآية :

– بيان أن الناس لم يتركوا هملا ، بيان أن الناس لم يتركوا هملا .

– ومن الفوائد أيضًا : عموم الرسالة لجميع الأمم ونفس الفترة بين الرسل التي تُوجِب طمس معالم الدين بالكلية ، وهذه الرسالة – رسالة محمد ﷺ – هي رسالةٌ خاتمة لجميع الرسالات وليس بعده رسولٌ ولا نبي .

– ومن الفوائد أيضًا : أن مهمة الرسل الدعوة إلى عبادة الله والكفر بما سواه .

– ومن الفوائد أيضًا : أن هداية التوفيق خالصةٌ لله دون غيره ، هداية التوفيق خالصةٌ لله دون غيره ؛ ولذلك هذا يقودنا إلى بيان أمر وهي أن معنى الهداية ، الهداية تنقسم إلى قسمين :

- هداية بيان ودلالة وإرشاد .

- وهداية توفيق .

- أمَّا هداية البيان والدلالة والإرشاد : فهي ما يقوم به الرسل وأتباع الرسل والعلماء وأهل الفضل من الدعوة إلى الله ، وبيان التوحيد وبيان ما يضاده ، ودعوة الناس إلى دين الله ﷻ ، وهذه تسمى : " هداية بيان ودِلالة وإرشاد " .

- وأمَّا دِلالة التوفيق : فهي لله ﷻ أو لله ﷻ ، فمن شاء الله وفقه وسدده وأقامه على الصراط المستقيم ، ومن شاء غير ذلك فهذه مشيئة الله ﷻ لا ندخل في هداية التوفيق وليس لنا ذلك ، وإنما وظيفة العبد أن يُبيّن دين الله ﷻ ؛ وظيفة الرسل ؛ وظيفة العلماء من بعد الرسل أن يُبيّنوا للناس هذا الدين ويُرشِدوهم إلى الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ والذي هو في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، وهداية التوفيق بيد الله ﷻ .

–ومن الفوائد أيضًا : لا يلزم من أمر الله بالشيء إرادته له ، لا يلزم من أمر الله بالشيء إرادته له ، فالله ﷻ خلق الشر وخلق الخير ، فخلق الخير وأراده للأمة وخلق الشر ولم يرده للأمة ، نعم ؛ فهذا هو المعنى .

– ومن الفوائد أيضًا : استحباب السياحة لقصد الاعتبار والتفكر بآثار القرون الأولى فهذا أن الإنسان عندما يخرج وينظر إلى ملكوت السماوات والأرض والجبال ، وما خلق الله ينظر إليها للاعتبار والتفكر في عظم خلق الله ﷻ .

وفي قوله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[9] ؛ في هذه الآية أيضًا يأمر الله ﷻ جميع المُكلَّفين بأن يفردوه وأن يبروا بوالديهم ، وأكَّدَ حق الوالدين بذكره بعد حقه ﷻ ، ثم ذكر بعض أنواع البر لهما وخاصة في حال العجز والضعف ومن ذلك عدم إظهار ما يشعر بالضيق منهما وعدم رفع الصوت بزجرهما ، والأمر بلين الجانب لهما واللطف في الكلام معهما والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما ، فهذا الذي تحمله هذه الآية أن الله ﷻ قارن عبوديته – جل وعلا – وذكرها وحثَّ عليها ثم ذكر بر الوالدين ، فلذلك قال الله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ؛ وهذا دليلٌ على عظم بر الوالدين بعد عبودية الله ﷻ ، وهنا معاني لبعض الكلمات في هذه الآية :

9) سورة الإسراء [الآيتين : 23 – 24] .

معنى قوله : ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ : أي وأمر وأوصى ، أي أمر وأوصى .

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ : أي لا تصرفوا جميع أنواع العبادة إلَّا لله دون غيره ، فمن صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

قال ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ : الإحسان إلى الوالدين هو احترامهما والقيام بما يُصلِح أحوالهما والدعاء لهما وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما ، وبعد وفاتهما الاستمرار في الدعاء لهما وإكرام صديقهما .

قال : ﴿ عِندَكَ ﴾ : أي في كنفك ورعايتك .

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ : أي لا يظهر منك ما يُشعِر بالضيق والضجر منهما .

ومعنى قوله : ﴿تنْهَرْهُمَا ﴾ : تزجرهما .

ومعنى قوله : ﴿ كَرِيمًا ﴾ : أي جميلًا لا شراسة فيه من القول الجميل الذي لا شراسة فيه .

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ : تواضع وتذلل بهما ، لا خوف العار وطلب الحظوة لديهما فقط ، وإنما تجعل ذلك لله تتقرب بهذا التَّذلُّل وهذا التَّلطف للوالدين ؛ تتقرب به إلى الله ﷻ .

وفي الآية فوائد :

– أولًا : وجوب إفراد الله بالعبادة .

– والثاني : وجوب البر بالوالدين على كل واحدٍ من الولد بعينه .

– الثالث : التكافل الاجتماعي موجود في الإسلام التكافل الاجتماعي هنا موجود في الإسلام وهذا من أنواعه .

وهذه الآية تُناسب ودلت الآية الكريمة على وجوب إفراد الله بالعبادة على وجوب إفراد الله بالعبادة ، ودلت أيضًا هذه الآية على وجوب بر الوالدين .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ

مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ 36 ﴿ ﴾( )[10]، وهذه أيضًا الآية كسابقتها من الآيات دلت على إفراد العبادة لله ﷻ وعدم الشرك به ﷻ .

– وفيها أيضًا من الفوائد : وجوب عبادة الله وحده ، ووجوب بر الوالدين وطاعتهما ما لم يكن في معصيةٍ أو شيء يضرُّ الولد لقول رسول الله ﷺ : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ( )[11]

– ومن الفوائد : مشروعية صلة الأقارب حسب قربهم من الشخص .

– ومن الفوائد في هذه الآية : وجوب الإحسان إلى من تعوله من الأيتام ، وذلك بحفظهم وحسن تربيتهم وتنمية مالهم .

– ومن الفوائد أيضًا : استحباب الإحسان إلى المساكين وأنواع الإحسان كثيرة .

– ومن الفوائد : وجوب حق الجار .

– ومن الفوائد : الحث على مساعدة كل من لزمك يرجو فضلك من رفيق سفر وحضر ونحوهما .

– ومن الفوائد أيضًا : وجوب مساعدة المنقطِع به في السفر .

– ومن الفوائد أيضًا : وجوب الإحسان إلى المماليك .

– ومن الفوائد أيضًا في هذه الآية : تحريم الكبر والخيلاء .

– ومن الفوائد أيضًا : إثبات صفة المحبة لله .

وكما تقدم عقيدتنا في صفات الله ﷻ أن الله ﷻ له من الأسماء والصفات الحسنى الواجب الإيمان بها كما جاءت والإيمان بما دلت عليه.

وفي هذه الآية أيضًا دليلٌ على أن الله ﷻ هو المتفرد بالربوبية والوحدانية فيجب أن تُصرَف العبادة له ﷻ ولا تُصرَف لغيره .

---

[10]) سورة النساء [الآية : 36] .

[11]) الراوي : يحيا المازني ، المحدث : البيهقي ، المصدر : السنن الكبرى للبيهقي ، الجزء أو الصفحة : (10 /133) ، حكم المحدث مرسل .

وقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿151﴾ ﴾ ( )[12].

ومعنى قوله في هذه الآية : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ : أي أقبِلُوا.

﴿ أَتْلُ ﴾ : أقصص عليكم .

﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ : ما حرم بحق ، لا تخرصًا وظنا.، والتحريم لغة : المنع .

﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ : لا تعبدوا معه غيره ؛ وهذا معنى أن لا تشركوا به شيئا ؛ أي لا تعبدوا مع الله إلها آخر.

و﴿ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ : لا تقتلوا بنيكم وبناتكم من أجل الفقر ؛ لأنهم كان في الجاهلية يقتلون الأبناء والبنات خشية الفقر .

ومعنى ﴿ الْفَوَاحِشَ ﴾ في هذه الآية : هي المعاصي كبيرها وصغيرها .

و﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ : أي ما كان بينك وبين الناس.

و﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ : أي ما كان بينك وبين الله عندما تكون خاليًا فتعصي الله ﷻ ، أو تكون مظاهرًا بالفواحش عند الناس فهذا معنى الظاهر والباطن في المعاصي .

قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ : نفس المسلم والكافر المعاهِد والذمي والمستأمَن ؛ هذه الأنفس لا تقتل إلا بحق : نفس المسلم ونفس الكافر ونفس المعاهِد ونفس الذمي ونفس المستأمَن ؛ هذه لا تقتل إلا بحق ، وسيأتي معنا ما هو النظام في هذا الذي شرعه الله ﷻ لهذه الأنفس .

﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ : المراد بالحق : زنًا بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو القتل المتعمد لنفسٍ معصومةٍ فيُقتَل به وهو القصاص ، أو غير ذلك مما أباح الإسلام قتل النفس به ، أمَّا ما عدا ذلك فلا .

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ : الإشارة تعود إلى المحرمات السابقة .

[12]) سورة الأنعام [الآية : 151] .

﴿ وَصَّاكُم ﴾ : الوصية : هي الأمر المؤكَد .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ : لكي تعقلوا ما ذُكِر فتعملون به .

وفي هذه الآية من الفوائد : أن الشرك هو أكبر الكبائر أن الشرك هو أكبر الكبائر ولا يصح معه عمل لهذا بدأ الله به .

– ومن الفوائد : وجوب البر بالوالدين أيضا .

– ومن الفوائد : تحريم قتل الأولاد ؛ ويلحق به الإجهاض بعد أربعين يومًا من ابتداء الحمل .

– ومن الفوائد : تكفّل الله بالرزق لجميع الناس .

– ومن الفوائد : مكافحة الحمل خوف الفقر من أعمال الجاهلية .

– ومن الفوائد : تحريم الفواحش وما يؤدي إليها .

– ومن الفوائد : تحريم قتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق .

– ومن الفوائد أيضًا : لم يُفصِّل الله المراد بالحق هنا ، وقد ذكر النبي ﷺ شيئًا منه في حديث صحيح مفاده زنًا بعد إحصان وكفرٌ بعد إيمان والنفس بالنفس ؛ هذا الذي شرعه الله ﷻ في قتل من أوجب الله ﷻ قتله ، وما عدا ذلك فالقتل كبيرةٌ من كبائر الذنوب لا يقدم عليها إلا أحد رجلين ؛ إمَّا أن يكون طاغيةً مجرمًا لا يعرف حق الله ﷻ في عباده أو يكون رجل تغير عقله إمَّا مجنون وإمَّا تغير عقله بمسكرٍ أو غير ذلك .

واستدل أيضًا الإمام على هذا الباب بهذا الحديث المخرج في الصحيحين عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِي ﷺ عَلَى حِمَارًا ، فَقَالَ لِي : (يَا مُعَاذُ ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ ؟ وَمَا حَقُّ العَبِيدِ عَلَى اللَّه ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، ولَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) ([13]) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

[13]) أخرجاه في الصحيحين .

وفي الحديث أيضًا هذا معنى قوله : (رَدِيفَ النَّبِي ﷺ) : أي راكبًا خلفه ، وهذا من تواضع النبي ﷺ على أنه كان يردف أصحابه على الدابة .

(حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبَادِ) : حق إيجاب أي حق الله على العبيد واجب وهو إفراده بالعبادة ﷻ ، والقيام بما أمرهم به والانتهاء عما نهى عنه .

(وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ) : أي ما أوجبه الله على نفسه إنعامًا وتفضلًا وليس استحقاق مقابلة حق المخلوق على المخلوق ، وإنما تفضل من الله ﷻ أن أوجب على نفسه ولم يوجب عليه أحد ؛ أوجب على نفسه أن من عبد الله ﷻ ولم يشرك به شيئا أن يدخله الجنة ويغفر له .

ومعنى قوله : (أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟) : أي أخبرهم بما يسرهم من هذا القول .

(يَتَّكِلُون) : أي يعتمدون على هذا الأمر ، فيريد النبي ﷺ من الناس أن يعملوا لله ﷻ وأن يتنافسوا في العمل حتى تكثر مع ذلك – يعني – أعمالهم التي يحصيها الله ﷻ لهم .

وفي هذا الحديث أيضًا أنه ذات يوم كان راكبًا خلف النبي ﷺ ، أن معاذ كان راكبًا خلف النبي ﷺ على حمارٍ ، فأراد النبي ﷺ أن يخصه بأهم مسائل العلم وأجلها وقد استعمل رسول الله ﷺ الأسلوب الاستجوابي في تعليم معاذ وتشويقه فقال : " وأن معاذ لم يخض فيما لا يعلم ، وأن النبي ﷺ بيَّن لمعاذ حقيقتين هامتين هما : ما يجب لله على المكلفين من خلقه وما أوجبه لعباده على نفسه إنعامًا وتفضلًا ، ولما كان معاذ يحرص على ما يسر المسلمين استأذن من النبي ﷺ أن ينشر هذه المسألة فنهاه النبي ﷺ مخافة أن يعتمدوا على هذا الوعد ويتركوا التنافس في الأعمال الصالحة التي تحط سيئاتهم وترفع درجاتهم ؛ لكن معاذًا أخبر تحرجًا من كتمان العلم مع أن العاقل يفهم تحذير النبي ﷺ متى هو ؟ من الاتكال من قوله : (فَيَتَّكِلُونَ) " ؛ فلذلك الإنسان يعمل ولا يَتكِّل على هذه النصوص التي يسمعها " نصوص الوعد بالأعمال والوعد بالمغفرة والوعد بغير ذلك من رفع الدرجات " ، وإنما يعمل لأن الأنبياء وهم خير الخلق عملوا واجتهدوا في العمل ؛ فلذلك من حقنا ومن واجب الواجب علينا أن نعمل لله ﷻ لِمَا أوجبه علينا وأن نترك ما نهانا عنه – ها – وأن نترك ما نهانا عنه خوفًا من الله ﷻ ورجاء مغفرته .

وهذا الحديث أيضًا فيه من الفوائد ونختم هذا الدرس بهذه الفوائد وهي فوائدٌ كثيرة جدًّا ولكن نختصرها في بعضها منها من هذه الفوائد :

– جواز الإرداف على الدابة إذا لم يشق عليها .

– والثاني : تواضعه – صلى الله عليه وآله وسلم – مع أصحابه .

– والثالث : أن عَرَق الحمار طاهر لا ينقض الوضوء ، أنا سبق وأن قلتُ أن هذا الإمام – رحمه الله – يحمل في هذا في هذه العناوين فقهًا غير فقه عقدي أيضًا فقهًا في العبادات ؛ فلذلك انظر إلى هذه الفائدة : أن عَرَق الحمار طاهر .

– ومن الفوائد أيضًا : فضل معاذ ابن جبل ﵁ حيث أردفه النبي ﷺ معه على الحمار .

– ومن الفوائد : الأسلوب الاستجوابي في التعليم من أساليب الإسلام عندما قال : (أَتَدْرِي يَا مُعَاذ ؟!) ؛ وفيها لَفْتَ نظر للرجل أن يسمع ما يريده أو يسمع ما يُرادُ منه .

– ومن الفوائد أيضًا : تحريم الخوض فيما لا يعلمه الشخص ، تحريم الخوض فيما لا يعلمه الشخص .

– ومن الفوائد أيضًا : أول حقٍّ لله على المُكلَّفين إفراده بالعبادة .

– ومن الفوائد أيضًا : من مات على التوحيد أمِن من العذاب إذا لم يرتكب كبائر تُعرِّضه لدخول النَّار .

– ومن الفوائد أيضًا : الجمع بين هذا الحديث وبين حديث (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ يَومَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَّارٍ) (14) ؛ أن حديث الإلجام يفيد تحريم الكتم عمومًا في جميع المسائل ، أمَّا حديثنا هذا فيفيد جواز كتم العلم إذا ترتب على إظهاره مفسدة مُتَحقِقَة .

والله أعلم وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وإلى الدرس القادم – إن شاء الله – يوم الأحد القادم – بإذن الله – في مثل هذا الوقت .

نسأل الله ﷿ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد والسنَّة حتى نلقى الله ﷿ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

[14]) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : المنذري ، المصدر : الترغيب والترهيب ، الجزء أو الصفحة : (1/97).

وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أمَّا بعد :

نحمد الله – عز وجل – على فضله وإحسانه ومنه وكرمه وعلى توفيقه ، ونسأله – عز وجل – أن يسددنا في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

قبل أن أبدأ في هذا الدرس الثاني في هذا الكتاب العظيم "كتاب التوحيد " لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ، قبل أن أبدأ أريد أن أذكر شيئًا وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – : (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ)(15) ، فلذلك بهذه المناسبة أنا أشكر لإدارة معهد الميراث النبوي على حسن الإدارة والتنظيم لهذا الصرح الشامخ ، وأخص بالشكر " أم عبد الله " – جزاها الله خيرًا – على ما تقوم به من جهدٍ في هذا الباب وفي خدمة هذا المعهد وطلاب المعهد ومن يقوم على هذا المعهد ؛ وليس بغريبٍ عليها ولا على أمثالها من السلفيات الشريفات العفيفات المجتهدات ، فنسأل الله بمنّه وكرمه أن يجزيها عنَّا وعن هذا المعهد خير الجزاء وأن يُصلح شأنها وأن يصلح لها بيتها وزوجها وأبناءها ، وأُثنّي أيضًا بالشكر لكل من أشرف على هذا المعهد ومن كان له فيه يدٌ ، وأشكر لمن سجل فيه من الطلاب وأتمنى من الله – عز وجل – أن ينفعنا وإياهم بهذا الذي يقدمه هذا المعهد لأبنائه وطلابه ، فجزى الله الجميع خير الجزاء وثبّتنا وإياكم على الحق وعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

نبدأ الآن في الدرس ؛ وهو الدرس الثاني " باب فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب " ، وفي هذا الباب وهذا العنوان بالذات تشويقٌ لمن أراد الخير ،

" باب فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب " ؛ وفي هذا دِلالة على أن التوحيد من قام به خير قيام كان مُكفِّرًا لما بعده من الذنوب .

[15]) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح الجامع الجزء أو الصفحة : 6601 .

ثم استدل الإمام المجدد – رحمه الله – على هذا الباب بقول الله – عز وجل – : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ([16]).

وأورد في ذلك من الأدلة من الأحاديث ما صح عند البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْد اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ العَمَلِ) أخرجاه ([17]) ولهما من حديث عتبان : (فإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ) ([18]) ، وأيضًا أورد في ذلك حديث أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال : (قَالَ مُوسَى : يَا ربِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُك وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : قُلْ : يَا مُوسَى : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : يَا رَبِّ : كُلُّ عِبَادِك يَقُولُون هَذَا ، قَالَ : يَا مُوسَى لَو أَنَّ السَّمَواتِ السَّبعِ وعَامِرُهُنَّ غَيرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبعِ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) رواه ابن حبان والحاكم وصححه ، وللترمذي أيضًا وحَسَّنه عن أنس قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) رواه الترمذي وحسَّنه .

وهذه الأحاديث التي سردتها هي بمعنى ما تقدم معنا من الآية الكريمة ، فلذلك لاختصار الوقت نكتفي بما في هذه الآية من المعنى العظيم .

فيخبرنا الله – سبحانه وتعالى – أن من وحَّده ولم يخلط توحيده بشرك فإن الله قد وعده بالسلامة من دخول النار في الآخرة ، وسيوفقه إلى الصراط المستقيم في الدنيا وسيوفقه للصراط المستقيم في الدنيا ، فلذلك لابد للمسلم أن يكون حريص على تحقيق التوحيد ، وهذا التوحيد من من أخلصه لله وقام به وابتعد عن نواقضه فإن ذلك مما يكون سببًا له في تكفير ذنوبه يوم يكون في حاجة لأن تُكفَّر الذنوب .

---

[16]) سورة الأنعام : [الآية 82] .
[17]) الراوي : عبادة بن الصامت ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : 3435 .
[18]) الراوي : محمود بن الربيع الأنصاري ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : 5401 .

فلذلك الحرص الحرص على الاستقامة على التوحيد وعدم الشرك بالله – عز وجل – صغيره وكبيره ، فلذلك المُخاطَب هنا ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، ومعنى ﴿ آمَنُوا ﴾ : الإيمان لغةً : التصديق ، وشرعًا وشرعًا : اعتقادٌ بالجنان وقولٌ باللسان وعملٌ بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

هذا هو إيش ؟

تعريف الإيمان تعريف الإيمان ، ولذلك لابد أن يكون هذا التعريف على بالك ليل نهار .

ومعنى قوله : ﴿ لَمْ يَلْبِسُوا ﴾ ؛ أي لم يخلطوا هذا الإيمان الذي وقر في قلوبهم لم يخلطوه بشرك أكبر أو أصغر ، يسعى في تخليصه من الشرك كبيره وصغيره .

فقال : ﴿ إِيمَانَهُم ﴾ ؛ أي توحيدهم ، لم يخلطوا إيمانهم ؛ أي توحيدهم بشرك .

﴿ بِظُلْمٍ ﴾ : ومعنى الظلم في هذه الآية ، الظلم معناه في هذه الآية ؛ أي الشرك ؛ لأنّ الظلم له ثلاثة معاني

– بمعنى الشرك ؛ وهو في هذه الآية وفي الآية التي في سورة لقمان .

– وبمعنى الظلم الشخص لنفسه .

– وبمعنى ظلم الشخص لغيره .

فهذا الظلم على ثلاثة أقسام :

– شرك .

– وظلم الإنسان لنفسه .

– وظلم الإنسان لغيره .

– ومعنى قوله : ﴿ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ : المراد بالأمن الأمن من دخول النار إذا لم يُصرّ على الكبائر مع التوحيد ، أو الأمن من الخلود في النار إذا كان مُصرًّا على الكبائر مع التوحيد .

وهذه قاعدة قد أطلقها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – هو أمر صحيح عقدي وجاء به باختصارٍ شديد ووضوحٍ كامل ؛ وهو أن من مات موحِّدًا ومات وقد تاب من الذنوب صغيرها وكبيرها دخل

الجنة بغير حساب ، ومن مات موحِّدًا ومات مصرًّا على الذنوب كبيرها وصغيرها سَلِم من الخلود في النار لأن توحيده يشفع له ؛ فهذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة ويُردُّ بها على الخوارج الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في النار يُردُّ بها عليهم ، فهذا الأمر بإجماع عند أهل السنة والجماعة ولكن أتى به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بهذا الوضوح وهذا التبسيط في المعنى لأن يكون طالب العلم الأمر أمامه في هذا التوحيد واضح .

ومعنى قوله ﴿ مُّهْتَدُونَ ﴾ : هم الذين عرفوا الحق في الدنيا فعملوا به ، المهتدون : هم الذين عرفوا الحق في الدنيا وعملوا به ، وكم من الذين يعرفون الحق في هذه الدنيا وهم يزيغون عنه نسأل الله – عز وجل – أن لا يزيغ قلوبنا عن الحق ؛ فلذلك اللجوء إلى الله ودعاء الله – عز وجل – أن يثبتك على الحق مطلبٌ شرعي فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ثبت بالأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – حين أن يكون ساجد يقول : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)(19) ، فنحن بحال من باب أولى من أن نكثر من هذا الدعاء .

وفي هذه الآية والأحاديث التي مرت معنا فوائد :

– أولها : لا صِحَّة للإيمان مع الشرك ، وكمال الإيمان لا يكون مع المعصية ؛ هذه فائدة ، لا صِحَّة للإيمان مع الشرك الأكبر ولا كمالَ للإيمان مع المعصية .

– الفائدة الثانية : تسمية الشرك ظلمًا ، وهذا أمرٌ صحيح ليس هناك أعظم من الظلم حين أن يكون شركًا ، ظلمٌ للنفس ومن دعا إلى الشرك فهو ظالمٌ لنفسه ظالمٌ لغيره .

– الفائدة الثالثة : أن من لم يخلط إيمانه بشرك فهو آمنٌ من العذاب ، أن من لم يخلط إيمانه بشرك فهو آمنٌ من العذاب يوم القيامة ؛ إمَّا أمْن مع نجاة ودخول الجنة بغير حساب ، وإمَّا أمْن أن يُطهَّر إذا مر عليه من المعاصي شيء ويسلم من الخلود في النار ، ولذلك دلت الآية على أن من مات على التوحيد وتاب من الكبائر سلم من عذاب النار ، ومن مات مصرًّا على الكبائر مع التوحيد سَلِم من الخلود في النار .

– وأيضًا من الفوائد في هذا الباب العظيم : أن الشهادتين هما أصل الدين ، أن الشهادتين هما أصل الدين .

---

[19]) الراوي : أنس بن مالك ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح الترمذي ، الجزء أو الصفحة : 2140 .

- وكذلك من الفوائد : لا تصح الشهادتان إلا لمن إلا مِمَّن عرف معناها وعمل بمقتضاها كما في حديث عبادة بن الصامت .

- ومن الفوائد أيضًا : جمع الله لمحمدٍ - صلى الله عليه و سلم - بين العبودية والرسالة ردًّا على المُفْرِطِين والمُفَرِّطِين ، ردًّا على المُفْرِطِين والمُفَرِّطِين ، لذلك قال : (وَأَنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) ؛ فجمع له بين العبودية والرسالة .

- ومن الفوائد أيضًا : إثبات عبودية عيسى ورسالته وهذا ردٌّ على النصارى الذين زعموا أنه ابن الله .

- ومن الفوائد أيضًا : إثبات صفة الكلام لله - عز وجل - وقد تقدَّم معنا في الدرس الأول عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وكيفية ذلك الإثبات .

- ومن الفوائد أيضًا : أن عيسى خُلِقَ من مريم بكلمة "كُنْ " من غير أبٍ وهذا ردٌّ على اليهود الذين قذفوا مريم بالزنا .

- ومن الفوائد أيضًا : إثبات البعث ، أن الله - عز وجل - يبعث من في القبور والآيات والأحاديث تدل على ذلك .

- ومن الفوائد أيضًا : إثبات الجنة والنار ، فلابد من الإيمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان ولا تفنيان .

- ومن الفوائد أيضًا : أن عصاة الموحدين لا يُخلَّدون في النار .

وهذه أيضًا الأحاديث كلها على نفس المعنى وعلى ما جاء من هذه الفوائد .

فنسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا للعمل الصالح ، وأن يثبتنا على التوحيد وأن يُكفِّر ذنوبنا وأن لا يميتنا إلا على التوحيد والاستقامة ، ونعوذ بالله من الشرك والمعاصي والبدع صغيرها وكبيرها إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بالمناسبة كنت قبل هذا الدرس مع فضيلة الشيخ الدكتور أحمد بازمول - وفقه الله - فأعجبني ثناؤه العطر على هذا المعهد وعلى إدارة هذا المعهد ؛ وخصَّ أيضًا بالثناء " أم عبد الله "جزاها الله خيرًا ؛ وهذا مِمَّا

أفرحني وزادني فرحًا لأننا حقيقةً لا نجد مثل هذا المعهد ولله الحمد في الدنيا كلها ، ونسأل الله – عز وجل – أن ينفع الجميع به ، وأن يجعله بإذن الله مستمرًا وفي .. فيما يقدم من الفوائد .

أستمحكم عذرًا وشكرًا لإصغائكم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [20] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [21] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [22]

فإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – ، وَشَرُّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار أما بعدُ :

أيها الإخوة والأبناء وصلنا إلى الباب الثالث في هذا الكتاب العظيم وهو كتاب التوحيد ، وهو باب " من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب " ، ومعنى تحقيق التوحيد هو تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي .

تحقيق التوحيد : أي تخليصه من الشرك ، من شوائب الشرك ؛ سواءً كان شركا أكبر أو شركا أصغر ، وتخليصه من البدع ، وتخليصه أيضًا من المعاصي ، فإذا كان كذلك صاحبه دخل الجنة بغير حساب .

---

[20]) سورة آل عمران الآية 102

[21]) سورة النساء الآية 1

[22]) سورة الأحزاب الآية 70 - 71

ثم استدل – رحمه الله – الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ([23])

إِبْرَاهِيمَ : هو إبراهيم الخليل– عليه السلام – أحد أولو العزم من الرسل .

ومعنى قوله (أُمَّةً): إمامًا معلمًا للخير ، وسماه أمة لئلا يستوحش سالك طريق الخير مع قلة السالكين ؛ ولذلك الإنسان إذا كان موحدًا فلا يغره كثرة المخالفين ، ولا يثنيه عن طريق التوحيد كثرة المعاندين والمعادين، بل هو مطمئن بما معه وما يحمله في قلبه من التوحيد لله – عز وجل – فلذلك إبراهيم كان أمة، كل من كان في زمنه على الأرض فهو عدو له ويحاربه حتى أقرب الناس إليه، ومع ذلك لم يرجع عما في قلبه من التوحيد ووقر ، فوحد الله – عز وجل – فكن يا عبد الله كذلك .

ومعنى (قَانِتًا) : خاشعا مطيعا لله؛ والقنوت دوام الطاعة؛ القنوت دوام الطاعة، فلا يعجز عن الطاعة أحد ، ومن أعظم الطاعات التوحيد ، ومن أعظم المعاصي الشرك .

ومعنى قوله (حَنِيفًا) : أي مائلًا عن الشرك قاصدًا إلى التوحيد .

مائلًا عن الشرك قاصدًا للتوحيد ، يرى الناس يعبدون غير الله ؛ يعبدون الأحجار والأشجار والليل والنهار والنار وغير ذلك من المعبودات المتعددة وهو لا يعبد إلا الله – عز وجل – وقلبه مطمئن لعبادة ربه ؛ فلذلك مال كل الميل عن هذه المعبودات التي عرف أنها لا تضره ولا تنفعه .

قال : (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) : سالمًا من الشرك في القول والعمل والاعتقاد ، سالمٌ من الشرك في القول والعمل والاعتقاد ؛ لأن الشرك إمَّا أن يكون قولًا باللسان أو عمل كالسجود والذبح ، أو اعتقاد كالاعتقاد بالقلب في الأولياء والصالحين أنهم يجلبون نفعًا أو يدفعون ضرًا .

فلذلك يخبرنا الله – سبحان وتعالى – في هذه الآية الكريمة أن رسوله إبراهيم – عليه السلام – كان إمامًا في الدين ومعلِّمًا للخير ودائمًا في خشوعه وطاعته لربِّه ، وأنه معرضٌ عن الشرك بكله مقبلٌ على التوحيد بجمعه ، خالصًا من الشرك بجميع أنواعه قولًا وعملًا واعتقادًا فهذا هو الموحِّد ؛ هذا هو الموحِّد الذي يُقبِل إلى الله – عز وجل – بالكلية في قوله وفي اعتقاده وفي عمله .

[23]) سورة النحل الآية 120

وفي هذه الآية فوائد :

– أولها : أن التوحيد أصل الأديان كلها؛ ولذلك ما من نبيٍّ إلَّا وجاء بالتوحيد ، ولذلك جميع الأديان السماوية التي نزلت جاءتنا بالعقيدة الصحيحة والتوحيد الصحيح الذي كان عليه سائر الأنبياء ، ثم جاءتنا هذه الرسالة الخاتمة للرسالات بالعبادات الصحيحة التي نسخت ما قبلها من العبادات ، وغيرها التي جاء بها الأنبياء – لمـــاذا ؟

– لأن التوحيد جاء به جميع الأنبياء .

ومن الفوائد أيضًا : وجوب الاقتداء بإبراهيم في إخلاصه لله – عز وجل – ، والنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – اقتدى في التوحيد بإبراهيم – عليه السلام – ودعا إلى التوحيد وأخلص العبادة لله – عز وجل – ودعا إلى ذلك الصحابة ومن تبعهم ، بل إنَّ دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأمته إلى أن تقوم الساعة وهي دعوةٌ إلى التوحيد ؛ إلى توحيد الله – عز وجل – وإخلاص العبادة لله – عز وجل – .

ومن الفوائد : ينبغي للداعية أن يكون قدوة بنفسه للغير ، قدوة بنفسه للغير ، فمتى رآك الناس ثابتًا على التوحيد ، مقبلًا إلى الله – عز وجل – بالكلية لا تعبد إلا الله ، لا تصلي إلا لله ، لا تخاف إلا من الله ، لا تستعين إلا بالله ، لا تستغيث إلا بالله ، ما من عمل تقوم به دقيقًا كان أو جليلًا إلا وهو لله – عز وجل – فإذا رأى الناس منك هذا الإخلاص ، اقتدوا بك وبصبرك – آه – وبطاعتك ؛ فلذلك لا بد أن يكون الداعية قدوة في التوحيد وفي غيره من العبادات .

ومن الفوائد أيضًا : دوام العبادة ، من صفات الأنبياء دوام العبادة ، من صفات الأنبياء يداومون على العبادات ، ولذلك نقتدي بالأنبياء في العبادات ، وبعض الناس يظن ويتَقال ما عنده من عبادة يقوم بها لله – عز وجل – ، داوِم عليها فإن الله – عز وجل – يحب من الأعمال أدومها كما صح في الحديث ولو قل ، فلا بد أن تداوم .

ومن الفوائد أيضًا : لا يصح التوحيد إلا بإنكار الشرك ، وهذا عليه من الأدلة الكثير في القرآن ، من تمام صحة التوحيد إنكار الشرك ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ ([24]) إنكار للشرك والطواغيت التي تُعبد من دون الله وتحقيق العبادة لله – عز وجل – .

ومن الفوائد أيضًا : الرد على قريش الجاهلية الذين زعموا أنهم على ملة إبراهيم في شركهم ، وحاشا وكلا أن يكون إبراهيم على الشرك ، إنَّما كان إبراهيم حنيفا قانتا لله – عز وجل – ولم يك من المشركين ؛ فلذلك لا بد أن نقتدي بالأنبياء ، إبراهيم ومن بعده وآخر الأنبياء محمد – عليه الصلاة والسلام – جاءنا بالعقيدة الصحيحة والتوحيد الصحيح الذي كان عليه سائر الأنبياء ، ثم جاء بالعبادات الصحيحة التي نسخت ما قبلها من العبادات ، فبقي دين النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – نخلص هذه العبادة لله – عز وجل – وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) ﴾ ([25])

يصف الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآية المؤمنين بأربع صفات تستوجب مدحهم والثناء عليهم ؛ وذلك أنهم يخشون عذاب الله – عز وجل – ، ويصدقون بآيات الله المنزلة والكونية وبدِلالاتها على وجوده وصدق رسالته ، وصدق رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وأنهم قد امتثلوا تلك الآيات فلم يشركوا بالله شيئًا لا ظاهرًا ولا باطنًا ، وأنهم من شدة خوفهم من الله – عز وجل – ألا يقبل منهم ما أعطوا وتصدقوا ؛ ثم شهد الله لهم بالمنافسة في أوجه الخير وأخبر أنهم قد سبقوا غيرهم إليها .

فمعنى قول الله – عز وجل – (خَشْيَةِ رَبِّهِم) : خوفه .

ومعنى (مُّشْفِقُونَ) : أي خائفون ألا يقبل منهم ما قدموا .

(آيَاتِ رَبِّهِمْ) : هي العلامات الدالة عليه وهي نوعان: الآيات السمعية و الآيات الكونية

ومعنى (يُؤْمِنُونَ) : يصدقون بها بدلالاتها على الحق .

---

[24]) سورة البقرة الآية 256

[25]) سورة المؤمنون من الآية 57 إلى الآية 61

(لَا يُشْرِكُونَ) : أي لا يعبدون غيره بالكلية ظاهرًا وباطنًا ، وهذا دليل على أن الشرك إما أن يكون ظاهرًا وإما أن يكون باطنًا .

(يُؤْتُونَ مَا آتَوا) : أي يعطون ما أَعْطَوا وما قاموا به .

(قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) : أي خائفة ألا يقبل منهم ما قدموا .

ومعنى قوله في الآية (يُسَارِعُونَ) : يبادرون ويتنافسون في أعمال الخير ، ولذلك لابد على العبد أن يكون مسرعًا في العبادة ؛ مسارعًا في العبادة لا يؤخرها ولا يُسَوِّف ؛ لأن الشيطان يعمل معه حتى يؤخره عن العبادات ، ولذلك جاء في بعض الآثار أن أُناس يتأخرون ويتأخرون حتى يؤخرهم الله في النار – نسأل الله العافية و السلامة – ولذلك كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يتنافسون ويُسارعون ، يُسابق بعضهم بعضًا في الطاعات والخيرات .

وفي هذه الآية أيضًا فوائد :

منها : وجوب الخوف من عذاب الله ، لا بد من الخوف من الله ؛ لأن الخوف من الله يقودك إلى العمل والصدقَ فيه .

الفائدة الثانية : وجوب الإيمان بآيات الله ودِلالتها على المراد .

الثالث : تحريم الشرك بجميع أنواعه وصوره .

والرابع من الفوائد : الاهتمام بقَبول الأعمال من صفات الصالحين ؛ الاهتمام بقَبول الأعمال من صفات الصالحين ؛ الإنسان يعمل ولكن يهتم أن يُقبل هذا العمل فيهتم بقَبول العمل ولو كان قليلًا ؛ فلذلك يقوم بالإخلاص ويقوم بالمتابعة في العمل ، وهذه أسباب قبُول العمل .

الخامسة من الفوائد : استحباب المنافسة في أعمال الخير ، وفي الحديث عن حُصين بن عبد الرحمن قال : (كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : ارْتقَيتُ ، قال: فما حمَلَك عَلَى ذَلَكَ ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : وَمَا حَدَّثَكَ – أَوْ وَمَا حَدَّثَكُمْ ؟ –قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصِيب أو

ابْنِ الحُصَيْب ، أَنَّهُ قَالَ : لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكوا بِاللهِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ . فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَخْبَرُوهُ . فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ. فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ ، فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ ، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) .(رواه البخاري ومسلم)

ولذلك هذا الحديث فيه فوائد عظيمة جدًا :

أولها : ابتعاد السلف عن الرياء وأسبابه ؛ حيث قال لم أكن في صلاة وإنما لدغت ؛ لئلا يرائي بعمله ، قال : أما إني لم أكن في صلاة.

ومنها : طلب الحجة على المذهب ، طلب الحجة ؛ فلذلك قال له

وما حملك على هذا ؟

أي ما حملك على الرقية؟

من وين جئتنا بهذه الرقية ؟

فلذلك طلبُ الحجة وطلب الدليل أمر كان بين أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وليس الطلب من أجل أن تعجز الناس أو تُعجز من كان أمامك ، وإنما طلب الحجة لأن تعلم الحجة وتحفظها وتعلم أن العمل لا يقوم إلا بدليل ؛ أما بعض الناس فيطلب الحجج وهو يعلم الحجج ، لماذا ؟

لأن يُعجز من كان أمامه ويظهر ضعفه فقط .

وهذه من أساليب أهل الريا — آه – وأهل الرفعة ؛ الذين يترفعون على الناس وإنما اصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يطلبون الدليل للعلم .

ومنها أيضًا من الفوائد : جواز الرقية من العين والحمى وهذا دليل على – آه – أن الرقية لابد منها ولكن لابد إيش ؟

أن تكون شرعية ، والرقية المشروعة هي ما كانت من القرآن والأدعية المشروعة وبلسان عربي وبصوت يسمع ؛ لأن بعض الرقاة عنده تمتمات لا تعلم ماذا يقول ، هل هو يقرأ أم يخاطب الجن ، ويكون مشركًا يستعين بالجن ، إنما لا بد أن تسمع الراقي يقرأ من القرآن ويدعو بالأدعية الشرعية وماعدا ذلك فلا يقبل .

ومن الفوائد أيضًا : عمق علم السلف فكانوا علماء ، ولذلك ما كان أحدهم يُرَدُّ عليه في العلم بل حين أن يسمع الحديث يحفظه ولا ينساه ، لماذا ؟

لصفاء أفئدتهم وقلوبهم ولصفاء أذهانهم ، ولبعدهم عن المشغلات الدنيوية ، فلذلك حين أن يسمع الحديث يسمع الدليل يسمع الآية يسمع المعنى لا يفرط فيها أبدًا بعد زمن تجدها في ذهنه .

ومن الفوائد أيضًا : العلم بالكتاب والسنة مقدم على كل مذهب هذا هو الأصل .

الدليل الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة هذه الأدلة ، أما الأقوال فلا يؤخذ منها إلا ما وافق الدليل ، فلا يؤخذ منها إلا ما وافق الدليل .

ومن الفوائد أيضًا : فيه فُضيلة السلف وحسن أدبهم وتلطُّفهم في تبليغهم للعلم .

ومن الفوائد أيضًا : تفاوت أتباع الأنبياء من حيث القلة والكثرة وانعدام الأتباع لبعضهم ؛ المسألة ليست بالكثرة في الدعوة ، المسألة في تحقيق الدعوة الصحيحة ، في تحقيق الدعوة الصحيحة وحقيقة الدعوة الصحيحة ، ولذلك لن ولم يأت أفضل من الأنبياء ، ومع ذلك يأتي النبي وليس معه أحد ، ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان ، فنحن نشتغل في الكيف لا في الكم ! "لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ امْرئً وَاحدًا خَيْرٌ لَك مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ " ([26]) واحدٌ بس!!

إذا الله – سبحانه وتعالى – وفقك واهتدى بسببك واحد خير لك من حمر النعم .

[26]) الراوي سهل بن ساعد الساعدي ، المحدث الألباني ، المصدر صحيح أبي داود ، الجزء أو الصفحة 3661

ومن الفوائد أيضًا : ليست الحجة محصورة في الأكثرية ، وهذه من العظائم التي بُلِيَ بها الناس في هذا الزمان ، عندما يرون فلان من الناس أتباعه كثير قالوا هذا هو الصحيح ! ، لا يوجد أتباع في هذا الزمن أكثر من أتباع الخُميني وهو كافرٌ بالله ، طاعنٌ في القرآن ، طاعنٌ في الصحابة ، مكفرٌ لجميع الصحابة ، طاعنٌ في أم المؤمنين ، رادٌ لآيات الله – عز وجل – ومع ذلك له أتباع لا يُعدون ولا يحصون ، فلو كانت المسألة بالكثرة لكان هو المقدم !

ولكن الكثرة ليس بها اعتبار إلا إذا كانت على الهدى الصحيح الذي جاء به النبي – عليه الصلاة والسلام

ومن الفوائد أيضًا في هذا الحديث : فضيلة موسى وقومه أنهم سيأتون كثير ؛ موسى وقومه كثير ، فلذلك لما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – موسى ومن معه ظن أنهم أمته .

وفيه أيضًا من الفوائد : تفضيل أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على سائر الأمم وهذا الذي لابد أن يُفهم أن هذه الأمة أفضل الأمم ،لمـــــاذا ؟

لأن نبيها أفضل الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، فلذلك لابد أن نشتغل في ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى ندخل في هذه الأفضلية .

ومن الفوائد أيضًا : حرص الصحابة على الخير ؛ لما قام عُكّاشة وقال : " أدعُ الله أنْ أكون منهم " حرص الثاني أن يكون منهم

ومن الفوائد أيضًا : جواز المناظرة للوصول إلى الحق ، أمّا المناظرة التي ليست فيها إلا مغالبة وليست هي لله ؛ فهي مذمومة ، والسلف ينهوْن عن هذه المناظرات وهذه المهاترات والمجادلات لئلا يُعرِّض الإنسان دينه للجدل الذي لا طائل ولا فائدة منه.

ومن الفوائد أيضًا : أن مَن أحرز هذه الخصائل الأربع المذكورة في الحديث فقد حقق التوحيد ودخل الجنة .

– مـــا هي ؟

لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ؛ هذه الخصال من حققها حقق التوحيد .

– ومن الفوائد : جواز طلب الدعاء من أهل الفضل ، ولذلك قال عُكَّاشَة (ادْعُ اللهَ أَنْ أَكُونَ مِنْهُم) فدعا له النبي – صلى الله عليه وسلم – .

– ومن الفوائد أيضًا : الجمع بين حديث الشعبي وحديث ابن عباس ؛ أن الأول يفيد جواز الرقية إذا توفرت فيها شروط الجواز ، وحديث ابن عباس يمنع منها إذا لم تكن كذلك ؛ إذا لم تتوفر فيها شروط الرقية

وما هي شروط الرقية ؟

– أن تكون بالقرآن .

– وأن تكون بالأدعية المشروعة الصحيحة .

– وأن تكون بلسانٍ عربي .

فلذلك لابد أن نهتم لهذا ؛ نهتم لتحقيق التوحيد ، ونهتم فيما يخدِشه أو يزيله أو ينقصه من الأقوال والأفعال والعقائد ، لذلك هذا هو الصحيح ؛ تحقيق التوحيد : تخليصه من شوائب الشرك والمعاصي والبدع حتى يكون التوحيد خالصًا لله ، يكون بذلك حقق التوحيد ، فنسأل الله – عز وجل – أن يجعلنا وإياكم والسامعين من الذين يوفَّقون لتحقيق التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوْذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (27)

[27]) سورة آل عمران الآية 102 .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(28)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (29)

أمَّا بعد :

فإنَّ أَصْدَقَ الْكلامِ كَلامُ الله ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

أيُّها الإخوة والأبناء ! قبل أن نبدأ أشكر لطلبة هذا المعهد المبارك حسن إصغائهم واستماعهم ومتابعتهم للدروس ، فلقد أثلج صدري تلك الأسئلة عن بعض الأمور في الدروس التي مضت ، وإنْ دل هذا على شيء فإنما يدل على الإصغاء والاستماع والمتابعة والمراجعة ، فهذا الذي يثلج الصدر ؛ حين أن يتكلم المتكلم ويجد ممن يسمع له يصغي ويراجع ويدقق في المسائل ؛ فهذا هو الطريق الصحيح ، فأنا أشكر لأولئك الذين راجعوا وتبيَّنوا من بعض الأمور .

فوصلنا في هذا الكتاب إلى الباب الرابع وهو : " بابُ الخَوفِ من الشِّرك "

الخوف من الشرك أمرٌ يقود إلى معرفة التوحيد ، فكل من خاف من الشرك دليلٌ على أنه يعلم عظم الشرك والوقوع فيه ، فلذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب عقد هذا الباب بعد أن بيَّن فضل التوحيد وبيَّن وما يكفر من الذنوب ، ثم جاء هنا في هذا الباب ليبيِّن عِظم هذا الأمر وهو الإشراك بالله – عز وجل – ، واستدل – رحمه الله – على هذا الباب بقول الله – عز وجل – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (30) ، والآيات في هذا الباب كثيرة ولكن الإمام – رحمه الله – اكتفى بهذه الآية وأورد حديثين أو ثلاثة في الباب .

---

[28]) سورة النساء الآية 1 .

[29]) سورة الأحزاب الآية 70 -71

[30]) سورة النساء الآية 48

ومعنى قول الله – عز وجل – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ : أي لا يغفر لعبدٍ لقيه يعبد معه غيره ، أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة ؛ أي يصرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة .

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ : يغفر جميع الذنوب غير الشرك الأكبر ، ويدخل الشرك الأصغر في ما دون ذلك ، أمَّا الشرك الأكبر فلا يغفره الله – عز وجل – .

قال : ﴿ لِمَن يَشَاءُ ﴾ : لمن يريد المغفرة له ، فقد يغفر له وقد يعذبه ويطهره ثم يدخل الجنة ، وهذا لمن كان دون الشرك الأكبر ، فقد يغفر له الله – عز وجل – وقد يعذبه ويطهره ثمَّ يدخله الجنة .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ : أي ومن يعبد معه غيره ؛ والمعبودات مع الله كثير ، والمعبودات مع الله – عز وجل – كثير .

ومعنى قوله : ﴿ افْتَرَىٰ ﴾ : أي كذَبَ .

ومعنى قوله : ﴿ إِثْمًا ﴾ : أي ذنبًا عظيمًا كبيرا ؛ وهذا افتراء ، فقد افترى على الله إثمًا عظيما الذي يُشرِك بالله فقد افترى إثمًا عظيما – نسأل الله العافية والسلامة – .

ولَمَّا كان الشرك هو أخطر الذنوب وأقبحها وأشدُّها عقوبة لِمَا فيه من تنقيص للربِّ – عز وجل – وتشبيهه بمخلوقاته أخبر الله في هذه الآية أنه لن يغفر لصاحب شركٍ مات على شركه ، وأمَّا من مات على التوحيد وعنده بعض الذنوب فإنَّ الله وَعَدَ بالمغفرة له وِفْقَ مشيئته ، ثم علل عدم المغفرة للمشركين بأنهم بعملهم هذا قد كَذبَوا على الله بعبادتهم معه غيره ، وارتكبوا ذنبًا كبيرًا لا يساويه ذنب .

فلذلك الشرك الأكبر من أخطر المعاصي التي يُعصَى بها الله – عز وجل – ، فلابد للعبد أن يبتعد كل البعد سواءً كان هذا الشرك الأكبر اعتقادي أو قولي أو عملي ، فيبتعد كل البعد ، ويحقق التوحيد ، فإن تحقيق التوحيد هو الطريق الصحيح للخلاص من الشرك ، هو الطريق الصحيح للخلاص من الشرك – كما تقدم معنا في الأبواب المتقدمة " فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب " – ؛ فلذلك نحن بحاجة إلى تكفير الذنوب وهذا الباب ' باب : تحقيق التوحيد ' هو الذي يُكَفَّر به الذنوب وهو الذي يضاد للشرك ويحارب الشرك ، المُوحِّد تجده محاربًا للشرك قولًا وفعلًا واعتقادًا.

– وفي هذا أو وفي هذه الآية فوائد :

- منها : من مات على الشرك الأكبر وجبت له النار دون الشرك الأصغر ، من مات على الشرك الأكبر وجبت له النار دون الشرك الأصغر ؛ لأنه لا يدخل في التخليد في النار بل تحت المشيئة .

- ومنها : من مات على التوحيد وعنده كبائر فمغفرة ذنوبه تحت مشيئة الله – سبحانه وتعالى– – .

ومنها : في الآية ردٌّ على الخوارج الذين يُكَفِّرُون بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يرَوْن تخليد صاحب الكبائر في النار .

- وفي الآية أيضًا : إثبات صفة من صفات الله ؛ ألَا وهي صفة المشيئة لله – عز وجل – ، وتقدم معنا في الدروس الماضية عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات .

- وأيضًا استدل الإمام – رحمه الله – بقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (31) ، ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ : وهذا أيضًا فيه دليلٌ على الخوف من الشرك ، ولذلك إبراهيم دعا الله – عز وجل – له ولابنه ألَّا يعبدوا الأصنام .

والمقصود بِـ ﴿ هَٰذَا الْبَلَدَ ﴾ : هو مكة المكرمة .

﴿ آمِنًا ﴾ : مطمئنٌ أهلَه ، أو أهلُه .

﴿ اجْنُبْنِي ﴾ : باعدني .

يسأل الله – عز وجل – أن يُبعده عن الشرك وأن يُبعد أبنائه عن الشرك ، هم أبناؤه من صلبه وبناته ، ولم يذكر البنات لدخولهن تبعًا ، وقيل غير ذلك .

و﴿ الْأَصْنَامَ ﴾ : جمع صنم وهو ما نُحِت على صورةٍ وعُبِد ، والوثن أعم من ذلك.

وهنا يخبر الله – سبحانه وتعالى – أن إبراهيم – عليه السلام – دعا لمكة بالأمن والاستقرار ، وذلك لأن الخوف والفوضى يمنعان الناس من أداء مناسكهم ، ثم أردف ذلك بسؤال آخر طلب فيه من ربه أن يبعده وأولاده عن عبادة الأصنام ، وذلك لما علم من خطر عبادتها وافتتان الناس بها ، فهذا الذي لابد للمسلم

[31]) سورة إبراهيم الآية 35 .

أن يدعو الله – عز وجل – لنفسه ولأبنائه وللمسلمين ، أن يدعو لهم أن يُجَنَّبُوا هذا الأمر العظيم وهو الشرك وعبادة غير الله – عز وجل – ، يدعو الله – عز وجل – ، فالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أحاديث كثيرة أوثرت عنه أنه يدعو الله : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَم ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَم)(32) .

قد يقع الإنسان في بعض الأشياء ؛ إمَّا لفظا أو غيره فيدعو الله – عز وجل – " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَم ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَم " .

– وفي الآية أيضًا فوائد :

– منها : فضل مكة على غيرها ، فقد دعا لها إبراهيم – عليه السلام – ، دعا إبراهيم لمكة بالأمن والاستقرار ، من الفوائد : دعاء إبراهيم لمكة بالأمن والاستقرار .

وهنا أيضًا ملاحظة : تقديم إبراهيم في دعائه لمكة قبل أن يدعو أن يُجَنَّب هو وأبناؤه عبادة الأصنام ، فهذه ملاحظة ؛ تقديم الأمن في دعاء إبراهيم ، وهذا يدل على أن الأمن مطلبٌ لكل أحد ، ليس لأهل التوحيد والإيمان ، بل حتى الكفار ، بل حتى البهائم تسأل أمنًا ويريدون أن يأمنوا ، ولذلك إبراهيم دعا لهذا البلد بالأمن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ، وهذه ملاحظة هنا في هذه الآية .

– ومن الفوائد أيضًا : إثبات نفع الدعاء ، كثير من الناس يغفل عن دعاء الله – عز وجل– ، الدعاء أمر مطلوب ، بل إنَّ الدعاء والالتجاء إلى الله دليل على الإيمان بالله ، ودليل على ارتباط الإنسان بالله – عز وجل – وعدم غفلته عن نفسه وعن عبادته ، فكل من تراه يدعو الله – عز وجل – فاعلم أنه مرتبطٌ في جميع أحواله بالله – عز وجل – فيسأله ولا يسأل غيره .

– ومن الفوائد أيضًا : أن أصل دين الرسل واحد ؛ وهو التوحيد ، كما صحَّ في الحديث : أنَّ (الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ) (33) ؛ دينهم واحد ؛ وهو التوحيد ، وشرائعهم متعددة .

---

[32]) الراوي : أبو بكر الصديق | المحدث : ابن حبان | المصدر : المجروحين ، الصفحة أو الرقم: **483/2** | خلاصة حكم المحدث : [فيه] يحيى بن كثير يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد .

33) الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: **2365** | خلاصة حكم المحدث : صحيح .

– ومن الفوائد أيضًا : استحباب دعاء الشخص لذريته ، لا يستهين الإنسان بالدعاء لأبنائه وللناس ، فالله – عز وجل – يريد منك أن تدعوه ولا تدعو غيره ، يريد منك أن تسأله ولا تسأل غيره .

– ومن الفوائد : تحريم عبادة الأصنام ، تحريم عبادة الأصنام ، وهذا وعبادة الأصنام من الكفر بالله – عز وجل– ، أن تعبدَ حجرًا ، أو تعبدَ مدرًا تصنعهُ ثم تعبدهُ ، أو تعبدَ طعامًا ثم إذا جُعتَ أكلتهُ ، أو تعبدَ شجرةً ، أو تعبد إنسانًا ، أو تعبدَ هواكَ ؛ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ (34) ، وهكذا المعبودات كثيرة ؛ كثيرة جدًا ، فلذلك الإنسان يُخلِص هذا التوحيد من شوائب الشرك ، وعليك أن تخاف أن تقع في الشرك ، أصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –كانوا يخافون على أنفسهم أن يقعوا في الشرك ؛ فلذلك علَّمهُم النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الدعاء المتقدِّم : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَم وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ) ، وفي الحديث (وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) .

وفي الحديث قول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – : (أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) (35) ، (أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) ؛ قد يسلم الإنسان من الشرك الأكبر إذا وُفِّق ، ولكن قد يقع في الشرك الأصغر وهو الرياء ؛ يرائي بأفعاله الناس لأَنْ يمدحوه أو يذكروه أو يشار إليه بالبنان أو يقال أنه عابد ، أو يقال أنه زاهد أو يقال أنه عالم أو يقال أنه وأنه ... كل هذا كان يخافه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وهذا الشرك الأصغر دقيق دقيق جدًّا ؛ ولذلك جاء في وصفه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما سئل عنه قال : (كَالنَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ السَّوْدَاءِ) كيف يُرَى؟ ! خفيٌّ جدًّا ؛ فلذلك الإنسان لابد أن يلهج بهذا الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَم وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) .

ولذلك – يعني – قال : (أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم) : أي أشدَّ شيء أخافه عليكم ، (الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ) : وهو الرياء ، أن ترائي بعملك ؛ ولذلك وصفوه أن يقوم الإنسان يصلي ثم يُحسِّن صلاته لما يرى من نظر الناس إليه ؛ فلذلك الإنسان في أكله في صدقته وفي صلاته وفي صيامه ليكن داخله وخارجه واحد رأوه

---

34) سورة الجاثية الآية 32 .

35) الراوي : محمود بن لبيد الأنصاري | المحدث : ابن باز | المصدر : فتاوى نور على الدرب لابن باز | الصفحة أو الرقم: 71/4 | خلاصة حكم المحدث : صحيح .

الناس أو لم يروه ، فإياك أن تُحِّسن صلاتك وتُحسِّن أعمالك وتتصدق – آه – أمام الناس وإذا وإذا كنت – آه – لوحدك في الخفاء – آه – تغيرتَ ، فالإنسان يكون في علانيته وفي سرِّهِ شيءٌ واحد لا يهمه إلا أن يرضى عنه الله – عز وجل – .

والرِّياءُ : هو مُراءاة الغير بعمل الخير هذا معناه ؛ هو مُراءاة الغير بعمل الخير كالذي يُحسِّن صلاته كما قلنا من أجل الناس .

– وفي هذا الحديث فوائد كثيرة جمّة :

– منها : حرص الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – على أمته ؛ وهذا خُلُق لابد أن نتخلَّق به أن نحرص على الأمة ألَّا يقعُوا في الشرك ، ولذلك عندما يكون الإنسان صدره سليم – آه –وصدره مليء بالإيمان ومليء بالتوحيد لله – عز وجل – تجده حريص على الناس ألَّا يقع أحدٌ في الشرك أو في الرياء أو في غير ذلك ، فتجده يدعو الناس إمَّا بقوله وإمَّا بفعله إن لم يستطع بقوله ، فيكون قدوة للناس وخاصةً طلاب العلم لابد أن يكون قدوة للناس .

– ومنها أيضًا : تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر، منها أيضًا : تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر .

– ومنها أيضًا : اعتبار الرياء من الشرك ؛ ولكن من الشرك الأصغر .

– ومنها : وجوب سؤال أهل العلم عمَّا خَفِيَ حكمه ؛ لأنهم قالوا : (وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الرِّيَاء) ، فهذا لابد أن يسأل ، فيه دليل على السؤال والسائل يتعلم السائل في الدِّين يتعلم ، والمُعرِض عن الأسئلة لأهل العلم والفضل لا يتعلم فيبقى على جهله ، ولذلك لابد أن تتعب في طلب العلم ، لابد أن تسأل ، لابد أن تجلس ، لابد أن تتعلم ؛ حتى تعبد الله على علم ، هذا الدين يُعرَف بالتَّلقي وبالتعلم ، ليس هو إلهام " حدثني قلبي عن ربي ! " ، لا ؛ هذه دعوة تَصوُّفٍ ، إنما هذا العلم كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) (36) ، فمتى وفّقت للعلم ولسؤال أهل العلم تعلمت ؛ فتعبد الله على علم ، ولذلك يقول الناظم :

---

[36]) الراوي : أبو الدرداء | المحدث : أبو نعيم | المصدر : حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 198/5 | خلاصة حكم المحدث : غريب من حديث الثوري عن عبد الملك تفرد به محمد بن الحسن .

" من لم يذق مرَّ التعلم ساعةً يذوق مرارة الجهل طول زمانه "

– وحيث دلّ هذا الحديث على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يخاف على أصحابه مع قوة إيمانهم من الشرك الأصغر ، فنحن مع ضعف إيماننا وقلة معرفتنا ؛ يجب أن نخاف من الشرك الأصغر والأكبر من باب أولى .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّار) (37) رواه البخاري .

ومعنى (يَدْعُو) : المراد بالدعاء هنا : دعاء العبادة ودعاء المسألة ؛ أن يدعو غير الله وأن يسأل غير الله ، فكلا الأمرين ذميم ، فلا تدعو ولا تسأل إلَّا الله – عز وجل – !

والنِدّ هو : الشبيه والنظير ، (مَنْ مَاتَ وَهْو يَدْعُو للهِ نِدًّا دَخَلَ النَّار) (38) ، والنِدّ هو : الشبيه ، أن تدعو غير الله تُشبّهه بالله – عز وجل – وتعطيه صفات الربِّ – جلّ وعلا – في جلب المنافع ودفع المضار – نسأل الله العافية والسلامة – .

– وفي هذا أيضًا الحديث فوائد منها :

– من مات على الشرك دخل النار ، فإن كان شركًا أكبر خُلّد فيها ، وإن كان أصغر عُذّب ما شاء الله له أن يُعذّب ثم يخرج .

– ومنها أيضًا : أن العبرة بالأعمال خواتيمها – فنسأل الله أن يختم لنا ولكم بالحسنى – .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ – رضي الله عنه – : أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ : (مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) (39) ؛ وفي هذا أيضًا يخبرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث : أن من مات لا يشرك مع الله غيره لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا في الأسماء والصفات دخل الجنة ، وإنْ مات مشركًا بالله – عز وجل – فإن مآله إلى النار – نسأل الله العافية والسلامة – .

---

[37]) رواه البخاري .

[38]) الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري .

[39]) الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : ابن عساكر | المصدر : معجم الشيوخ ، أخرجه مسلم .

من مات يشرك به في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته دخل النار لا محالة ، ومن مات وهو لا يشرك بالله في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته دخل الجنة ؛ فهذا المعنى لهذا الحديث العظيم حديث جابر – رضي الله عنه – .

فلذلك هذا ممَّا يوجب لنا الخوف من الشرك ، ويوجب الخوف من الشرك البعد عنه والحرص على التوحيد قولًا واعتقادًا وعملًا ، قولًا واعتقادًا وعملًا .

– وفي هذا الحديث الذي نختم به هذا الدوس فوائد :

– أولًا : إثبات الجنة والنار .

– والثاني : العبرة بالأعمال خواتيمها – نسأل الله أن يختم لنا بالتوحيد – .

– ومنها أيضًا الثالث : من مات على التوحيد لا يُخلَّد في النار ؛ مآله الجنة حتى ولو حصل منه ذنوب .

– الرابع : من مات على الشرك وجبت له النار – أي الشرك الأكبر – .

والله أعلم وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين

أَمَّا بَعْدُ :

فها نحن في الباب الخامس ، باب : " الدُّعَاءِ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ " .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) ﴾ [40]

[40]) سورة يوسف (الآية : 108) .

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – وَفِي رِوَايَةٍ : إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ – فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ) أخرجاه – أي البخاري ومسلم – .

ولهما – أي للبخاري ومسلم – عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ – رضي الله عنه – : أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه و سلم – قَالَ – يَوْمَ خَيْبَرَ – : (" لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ " ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : " أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ " فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قال : " فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ " ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، وَقَالَ : " ٱنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ٱدْعُهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَ اللهِ لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ ") .

في هذا الباب أورد المؤلف – رحمه الله – هذه الآية وأردفها بحديثين ، وهذا هو الطريق الصحيح للدعوة إلى الله – عز وجل – الدعوة إلى شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تحتاج إلى هذا الطريق الذي رسمه النبي – صلى الله عليه وآله سلم – وقام به أصحابه – رضي الله عنهم وأرضاهم –.

ولذلك الدَّاعي إلى الله – عز وجل – يحمل وظيفة الأنبياء في الدعوة إلى الله – عز وجل – فلا بُدَّ وليس له بُدٌّ من أن يَمْتَثِلَ طريقة النبي – صلى الله عليه وآله سلم – في دعوته ، ولا يبتدع طريقة أو يَخْتَطَّ خَطًّا في الدعوة إلى الله – عز وجل – غير ما جاء به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ؛ لأن دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قائمةٌ بالوحي من الله – عز وجل – .

ولذلك النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – هو المُبَلِّغ عن الله – عز وجل – لهذه الأمة ، وهو الذي رسم لأهل العلم وللدعاة كيف يدعون إلى الله – عز وجل – ، فما من دعوةٍ خالفت هدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فأفلحت أبدًا ، وإنْ رأى الناس كثرة من حول هذه الدعوة ؛ وإنما هم غثاء كغُثاء السَّيل

، أمَّا من امتثل دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وطريقة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهنا مَكْمَنُ البركة وهنا البقاء للدعوة إلى أن تقوم الساعة .

فلذلك لا يَغُرنَّك كثرة المطبِّلين ولا يَغُرنَّك كثرة الناس والأعداد ، وإنما تنظر للجوهر الحقيقي للدعوة .

– هل هي على الكتاب والسنة وعلى ما جاء به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وعلى طريقته ؟

فإن كانت كذلك فحمدًا لله على سداده وتوفيقه ، وإن لم تكن كذلك فلا تلومنَّ إلَّا نفسك أخي الدَّاعي .

ففي هذه الآية المباركة قول الحقِّ – تبارك وتعالى – : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾(41)

ومعنى سبيلي: ﴿ سَبِيلِي ﴾ : أي طريقي وسنتي .

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ : أي على ديانة .

﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ : إلى دينه ودار كرامته .

ومعنى قوله : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ : أي على علمٍ وبرهانٍ شرعي وعقلي ، أي على علمٍ وبرهان شرعي وعقلي ، لا على الهواء والاستحسان ؛ وإنما على العلم من الكتاب والسنَّة وعلى برهانٍ شرعي بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنَّة وعلى دليلٍ عقلي صحيح يوافق الكتاب والسنَّة .

وقوله : ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ : أي اِقتدى بي ، معنى ﴿ اتَّبَعَنِي ﴾ : أي اِقتدى بي .

ومعنى قوله : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ : أي أنزه الله وأعظمه من أن يكون له شريكٌ أو نَدِيد.

ذكر ابن القيم – رحمه الله – في التفسير القيِّم : " أن مراتب الدعوة ثلاثة أقسام ، بحسب حال المدعو :

– فإنه إمَّا أن يكون طالبًا للحق محبًّا له مؤثرًا له على غيره إذا عرفه ؛ فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال .

– وإمَّا أن يكون مشغولًا بضدِّ الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه ؛ فهذا يحتاج إلى الموعظة والترغيب والترهيب .

---

(41) سورة يوسف [الآية : 108] .

– وإمَّا أن يكون معاندًا معارضًا ؛ فهذا يُجادَل بالتي هي أحسن ، فإن رجع وإلَّا انتُقِل معه إلى الجدال إن أمكن ذلك وإلَّا انتُقِل إلى الجدال إن أمكنَ ذلك . "

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : " لا بد في الدعوة إلى الله من شرطين :

– أولًا : أن تكون خالصة لوجه الله –وهذا هو التوحيد ؛ الإخلاص لله ، لأن الدعوة عبادة إلى الله ، بل إن الدعوة من أجَلِّ العبادات فلا بد من الإخلاص فيها لله – عز وجل – – .

– ثانيًا : أن تكون على وفق سنَّة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، أن تكون على وفق سنَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فإن أخلَّ الدَّاعي بالشرط الأول كان مشركًا – إن أخلَّ بالإخلاص لله – عز وجل – وأراد بدعوته حطام الدنيا والمدح وغير ذلك فهذا من الشرك – نسأل الله العافية والسلامة – – ، وإن أخلَّ بالثاني – أي بالاتباع للنبي – صلى الله عليه وسلم – في دعوته –كان مبتدعًا ..
كما أنه ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه . "."[42]

– وفي هذه الآية فوائد :

– منها : وجوب الإخلاص في الدعوة إلى الله ، وهذا كما أسلفنا الإخلاص هو التوحيد ، هو توحيد الله – عز وجل – أن تخلص له في العبادة ، وفي الدعوة إليه – سبحانه وتعالى – .

الثاني : يجب أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على الحجَّة والبرهان ، والحجَّة والبرهان أين تكون ؟
في كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وما كان عليه سلف هذه الأمة .

– ومنها أيضًا من الفوائد : وجوب البراءة من الشرك وأهله ، كما قال الله – عز وجل – في الآية : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ([43] براءة من الشرك وأهله .

[42]) حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص 55 .
[43]) سورة يوسف [الآية : 108] .

– ومنها أيضًا : لا يصح العمل إلا موافقًا لما جاء به الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ، فلو اختلف الطريق في الدعوة عن طريق النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهي لا تقبل دعوته ، بل ولا يُوفَّق في دعوته .

وهذا هو معنى قول العلماء : " أنه لا بد في العبادة من شرطين : الإخلاص والمتابعة " ، وهنا أيضا أنبه على أمر ، وهو أن هذين الشرطين ، أن هذين الشرطين إذا ذهب أحدهما ذهب معه الاخر ، وإذا اجتمعا ؛ اجتمع الإخلاص والمتابعة كان الخير كله هنا .

– ومن الفوائد أيضًا في الآية : وجوب تنزيه الله عمَّا لا يليق بجلاله ، في معنى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [44]

فمعنى ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ : أي تنزيه الله – عز وجل – عمَّا لا يليق بجلاله – سبحانه وتعالى – .

وفي حديث بن عباس – رضي الله عنهما – الذي سُقناه أيضًا ، لَمَّا أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذ بن جبل واليا إلى اليمن أرشده إلى ما يجب أن يعمل به ابتدأ ذلك بالدعوة إلى توحيد الله ؛ وهذا هو أساس الدعوة أن تبدأ الدعوة بالتوحيد – لماذا ؟

لأن التوحيد هو القاعدة الأساسية التي تُبنَى عليها جميع العبادات ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة وبر الوالدين والأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله جميعها كبيرها وصغيرها دِقها وجليلها لا بد أن يكون الأساس فيها توحيد الله – عز وجل – .

فكم من الناس الذين يعملون وترى أنهم يعملون ويجتهدون ويدفعون الأموال ويفعلون ويفعلون من أوجه الخير ، وهم يريدون بذلك ألسنة الناس ، وهم يريدون بذلك مديح الناس ، فهذا لا ينفع في دين الله – عز وجل – أبدا ! إنما النافع هو ما كان لله – عز وجل – خالص .

فإن استجابوا لذلك فإن عليه أن يخبرهم بأَوْجَب الواجبات بعد التوحيد وهما : الصلاة والزكاة

فإن امتثلوا أمره فإن عليه أن يراعي فيهم جانب العدل ؛ ولذلك جاء في آخر الحديث : (وإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِم) ؛ وهذا يدل على عدل في الدعوة إلى الله ، على عدل في إقامة الشريعة ، العدل في إقامة الشريعة لا الظلم ولا الجور ولا الحيف ولا الغبن في هذه الدعوة أبدا ؛ وإنما هي قائمة على العدل المحض .

---

[44]) سورة يوسف [الآية : 108] .

ومن هنا في هذا الحديث نستدل أيضًا : على أن الدعوة لا بد أن تكون مُرتَّبَة ، على أن الدعوة إلى الله لا بد أن تكون مُرتَّبَة ؛ فلا يبدأ الإنسان حين أن يرى أُناس على الكفر والضلال فيأتي يأمر بالصلاة مثلًا ، أو يأتي يأمر بالزكاة ، أو يأتي يأمر بالصيام ، أو يأتي ويأمر بالحج ويترك أعظم أمر وهو أن يوحدوا الله – عز وجل – ويشهدوا أن لا إله إلا الله ، إذا أنهم لو صلوا وصاموا وزكوا وحجوا ولم يشهدوا أن لا إله إلا الله ويخلصوا العمل لله – عز وجل – ويتبعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما نفعهم ذلك ، فلا بد أن يأخذ الترتيب في الدعوة إلى الله بحسب المَدعُوِّين .

وأيضًا إذا جئت لقوم أهل توحيد يوحدون الله – عز وجل – وأهل معرفة بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهم عندهم تقصير في بعض الجوانب فتترك التقصير في هذه الجوانب ثم تذهب إلى تعليمهم ما هم يعلمونه ؛ هذا ليس من الترتيب .

فلذلك هذه الدعوة قائمة أيضًا على الفقه في حال الدَّاعي و في حال المدعو ؛ قائمة على الفقه ، وعلى الترتيب ، و النظام النبوي .

فلذلك يعتبر هذا الحديث تنظيمًا لدعوة الناس ، وترتيبًا لدعوة الناس .

– وفي هذا الحديث فوائد :

– منها : أول ما يبتدئ به الداعية ؛ توحيدُ الله تعالى .

– ومنها : التدرج في الدعوة والبداءة بالأهم فالأهم .

– ومنها : فرضية الصلوات الخمس ، فرضية الصلوات الخمس .

– ومنها : أن صلاة الوتر ليست بواجبة ، ومنها أن صلاة الوتر ليست بواجبة .

– ومنها : فريضة الزكاة ؛ ولذلك عبَّر عنها

بماذا ؟

عبَّر عنها بالصدقة ، ومعنى الصدقة في هذا الحديث : أي الزكاة ؛ والزكاة تشمل أمرين :

زكاة أموال ، وزكاة أبدان ؛ زكاة أموال ، وزكاة أبدان وهي تسمى : بزكاة الفطر ، فكل هذه – يعني – يُطلَق عليها في الجملة " صدقة ".

– ومنها أيضًا : أن الزكاة لا تُدفع للكافر ، والدليل : (تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)(45) ؛ والمعنى عائد لفقراء المسلمين ، والمعنى : (عَلَى فُقَرَائِهِمْ) : أي إلى فقراء المسلمين ، أمَّا الكافر فلهُ بابٌ آخر ، وهو : حين أن يُرادَ أن يُدعى فيُعطى من الزكاة حين أن يُراد أن يُدعى .

– ومنها : أن الفقراء من أهل الزكاة ، أن الفقراء من أهل الزكاة .

– ومنها أيضًا : جواز دفع الزكاة كُلِها لصنف واحد من الأصناف الثمانية ولذلك هذا فقه .

لمـــاذا ؟

إذا دُفعت الزكاة لواحد فمـــــاذا يكون عنده؟ يُصبح مِمَّن ؟

من الأغنياء يُتاجر بهذه الزكاة ، فيأتي العام الذي بعده وإذا به هو أيضًا يتصدق ، أمَّا إذا كنت تفعل ما يفعله بعض الناس من جهلهم بفقه الزكاة ؛ ثم تأخذ الزكاة وتقطعها على دراهم قليلة لا تُسمن ولا تغني من جوع ؛ بل إن بعضهم لا يستطيع لا تكفيه صرفًا في يوم خُروج الزكاة ؛ فهذا الفقه خطأ ! ولذلك أُنظر قال : " جواز دفع الزكاة كلها لصنفٍ واحدٍ من الأصناف الثمانية " .

– ومنها أيضًا : لا يجوز إخراج الزكاة من بلدها إلَّا إذا عُدِم الفقراء فيها ؛ أينما يكون الغني في بلدٍ من البلدان أخرج زكاته على أهل البلد الذي يعيشُ فيه .

– ومنها أيضًا : لا يجوز دفعُ الزكاة للأغنياء ، ومنها أيضًا : لا يجوز دفع الزكاة للأغنياء إلَّا في حال واحد : وهو أن يكون هذا الغني من الأصناف الثمانية ؛ وهو المسمى " بعابر السبيل " قد يكون في بلده غني ولكن انقطعت به السبل ، فيُدفع له من الزكاة حتى يبلغ بذلك بلده .

[45]) مُتَّفَقٌ عليه : أخرجه البخاريُّ في « الزكاة » بابُ وجوبِ الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلمٌ في « الإيمان » (١٩) ، مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - .

– ومنها أيضًا : تحريم أخذ الزكاة من خيار الأموال ؛ وإنما يؤخذ من الوسط وهذا معنى العدل في هذا الحديث ، فهذا معنا العدل في هذا الحديث ؛ ألاَّ تأخذ من كرائم الأموال ؛ أي أحسنه وأعلاه مرتبة ، ولا أن تأخذ من الرديء ، وإنما تؤخذ من الوسط .

– ومنها : تحريم الظلم بجميع أنواعه ، والظلم كما جاء في بعض الآثار :

" الظلم ظلمات يوم القيامة " ، (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)(46) ، المظلوم حين أن يقع عليه الظلم وهو لا يستطيع دفعه عن نفسه ثم يلتجئ إلى الله – عز وجل – بدعوةٍ صادقةٍ هذه حالقة للظالم – نسأل الله العافية والسلامة – ؛ فلذلك قال :

(اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) .

وهذه أيضًا من الآداب النبوية والتربية للناس أن يبتعدوا عن ظلم الآخرين وأن ينتشر بينهم الألفة والعطف والرفق ، ولذلك جاء في بعض الأحاديث : (اُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ؛ فَذَلِكَ نَصْرٌ لَهُ) . (47)

تمنعه من الظلم ؛ فلذلك شوف النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول : (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ) ؛ فهذا دليل على أن سلب الأموال بغير حقٍّ ظلم للناس حتى ولو كانت زكاة ، حتى ولو كانت من المفروضة عليهم بغير حقٍّ ظلم للناس ، قال : (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).

قال : ولهما عن سهل بن سعيد – رضي الله عنه – قال : أن – رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال يوم خيبر : (لَأُعْطَيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ...) الحديث بطوله كما ذكرناه رواه البخاري ومسلم .

وفي هذا الحديث أيضًا يخبرنا سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة خيبر وعد بأن يدفع العَلَم – والراية يعني العلم – إلى رجل يحبُّ الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

- فظلَّ النَّاس في تلك الليلة يخمّنون ويتكلمون من يُعطاها ؟ من هو ذلك الرّجل ؟

---

46) [مسلم (١٩) ، البخاري (١٣٩٥)] .

47) الراوي : [أنس بن مالك] المحدث :الألباني المصدر :غاية المرام الجزء أو الصفحة:306 حكم المحدث: صحيح

ولَمَّا جاء الصباح ذهب النّاس مُبكِّرين ، وكلٌّ منهم يُؤَمِّل أن يحُوز هذا الشرف العظيم ؛ وهذا يدل على تنافس الصحابة في الخير ، وفي الجهاد في سبيل الله ، فسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن عليّ فأُخبِر أنه مرمود – والرمد : هو وجع العين ، والرمد : هو وجع العين – فطلب مجيئه ، فجِيء به فتفل في عينيه فشُفِيتا في الحال ، ثم سلَّمه الراية ؛ وهذه من خصائص النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ إذا دعا لأحد أو تفل على جُرح أحد فإنه يُشفى في الحال .

ولذلك فُهِمت عند أهل التصوف هذه الكرامات غير فهمها الحقيقي ؛ فذهب بعضهم إلى أن يجعلها في الأولياء والصالحين ، وليسوا بأولياء ولا صالحين أولئك الذين تَعدُّوا على كرامات النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وأرادوا أن يتشبّهوا بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في هذا الباب وليس لهم ذلك ، وتركوا التشبه بالنبيّ – صلى الله عليه وسلم – في عقيدته وعبادته وأخلاقه ومعاملته ، فذهبوا إلى هذه .

– لماذا ؟

لأن هذه من ورائها مصالح مادية ؛ الوليّ فلان اِدفع له وهو سيدعو لك ، الوليّ فلان اِدفع له وهو سيتفل في وجهك .

ما هذا ؟!!

حُرِّفَت هذه المسألة إلى غير طريقها الشرعي .

وأمره بأن يسير على مهله ورِفقه ، فإذا نزل قريبًا من القوم فإن عليه أن يبدأهم بالدعوة إلى الإسلام ؛ هذا هو طريق الجهاد الصحيح ، هذا هو طريق الدعوة الصحيحة ، فإن استجابوا له فإن عليه أن يُفقِّهَهُم بما يجب عليهم .

ثم أقسم الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لِعَليّ مرغبًا له في الخير ، مبينًا له أن ثواب إرشاده لشخصٍ خير من امتلاك الإبل الحمر – الإبل الحمر : هذه من الأموال التي كانت – يعني – مشهورة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، الذي عنده الإبل الكثيرة فهذا يعتبر من أغنى الأغنياء .

فلذلك لو يُسْلِم واحد على التوحيد فهو خيرٌ له من هذه النِّعم التي يملكها هؤلاء الأغنياء ، فيدلُّ ذلك أن هذه الدعوة دعوةٌ كريمة ودعوةٌ شريفة ومقامها عالٍ جدًّا ، فلا بد للإنسان أن يتمثل هذا الهدي النبوي في

دعوته وفي عقيدته وفي أخلاقه وفي معاملته وفي عبادته ، يَتَمثَّل هدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فهو الذي لا بد أن يكون ، ولذلك الداعية لا بد أن يتعلم هذا التَّعلم ، فلذلك في الحديث : (العِلْمُ بالتَّعلُّمِ ، والحِلْمُ بالتَّحلُّمِ)([48]) ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لأحد الصحابة : (إنَّ فيك خَصلتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ ؛ الحِلمُ والأَناةُ)([49]) فلذلك الحليم يصبر على الأذى في سبيل دعوته ، والمتأنِّي لا يقع في الأمر لأنه يتأنى ويأخذ الأمور عن طريق العلم الشرعي وعن طريق السنة النبوية ولا يستعجل ، فإن في العجلة الزلل ، وفي التأنِّي السلامة .

- وفي هذا الحديث فوائد نختم بها هذا الدرس :

– منها : بيان فضل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – والرد على النواصب الذين ناصبوه العَدَاء ، وأيضًا فيه رد على أولئك الكذبة من المتشيعة الذين تشيعوا لهم وهم خالفوا طريقته وهديه .

– ومنها أيضًا : إثبات صفة المحبة لله – عز وجل – وقد تقدم معنا في الدروس الماضية عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله – عز وجل – .

– ومنها : بيان معجزة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهي لَمَّا تفل في عينيّ علي – رضي الله عنه – فشُفِيَا حالًا .

– ومنها أيضًا : حرص الصحابة على الخير ، فهذا لابد أن نقتدي بالصحابة في حرصهم على الخير والدعوة إلى الله – عز وجل – وفضيلة العلم .

– ومنها أيضًا : سؤال الإمام عن رعيته وتفقده لأحوالهم ، فلذلك الداعية لا بد أن يتمثل هذا ، يسأل عن طلابه ، يسأل عن جيرانه ، يسأل عن أقاربه ، يسأل عن الناس ، ويتقرب بذلك إلى الله – عز وجل – .

– ومنها : وجوب الإيمان بالقضاء والقدر حيث حصَّل الرايةَ من لم يسعَ لها ، والله – عز وجل – أعلم بالمُخلِص ؛ فلذلك من أخلص لله – عز وجل – جاءه الخير من غير تعب .

---

[48]) عن أبي الدَّرداءِ قال : العِلمُ بالتَّعلُّمِ ، والحِلمُ بالتَّحَلُّمِ ، ومن يتَحَرَّ الخيرَ يُعطَه ، ومن يَتَوَقَّ الشرَّ يُوَقَّه .
الراوي : رجاء بن حيوة | المحدث : الألباني | المصدر : العلم لأبي خيثمة

[49]) قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأَشَجِّ عبدِ القيسِ: "إنَّ فيك خَصلتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ: الحِلمُ والأَناةُ، قال يا رسولَ اللهِ: أنا أتخلَّقُ بهما أمِ اللهُ جَبَلَني عليهما؟ قال: بلِ اللهُ جَبَلَك عليهما، قال: الحمدُ للهِ الذي جَبَلَني على خَلَّتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ ورسولُهُ.
الراوي : عبد الله بن عباس | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج رياض الصالحين

- ومنها : على القائد أن يلتزم الأدب والرفق في غير ضعف ، على القائد الذي يقود المسلمين أن يلتزم الأدب والرفق من غير ضعف ؛ لا يكن ضعيفًا ويأتي أهل الشر ويمررون عليه شرهم ؛ لأن أهل الشر لهم أساليب يمدحون ويمدحون ويفعلون ويا فلان ويا شيخنا ويا حبيبنا ويا أهل الخير ووو إلى غير ذلك إلى أن يصلوا إلى مبتغاهم من الشر - والعياذ بالله - .

- ومنها : وجوب البداءة بالدعوة إلى الإسلام قبل القتال لمن لم تبلغه الدعوة ، أمَّا من بلغته الدعوة فيُستحَب تبليغه وإنذاره قبل القتال ؛ وهذا من التدرج في الدعوة وطريقة الدعوة إلى الله - عز وجل - حتى حين أن يكون الجهاد تحت ظلال السيوف ، ومع ذلك النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - : " افعلوا كذا ! ولا تفعلوا كذا ! ابدؤوا بكذا ! ولا تبدؤوا بكذا ! " .. وهكذا .

- ومنها : لا يكفي في العصمة الشهادتان دون العمل ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ نعم العقيدة قولٌ وعمل واعتقاد ، ليس العقيدة فقط قولٌ واعتقاد فقط ، وإنما لا بد من العمل ، فإن العقيدة الصحيحة والاعتقاد الجازم في القلب هو الذي يقود الإنسان إلى العمل الصحيح .

- ومنها : جواز الحلف على للفُتيا للتأكيد ، بعض الناس قد ترى منه أنه لا يمكن أن يصدِّقك أو يصدق عالم حتى يحلف له ، فإن - يعني - استوجب الأمر أن تحلف لمن تفتيه أو تعلمه علمًا ؛ فلابأس بذلك .

- ومنها أيضًا : فضل الدعوة إلى الله والتَّعليم ، وهذا هو مقام الأنبياء ووظيفة الأنبياء ؛ الدعوة إلى الله وتعليم الناس هذا الدين الذي جاء به النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - .

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم لهدي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد حتى نلقى الله - عز وجل - إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِين وأصَلِّي وأسلِّم على المَبْعُوث رَحْمَةً للعَالَمِين نبِيِّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فقد وصلنا إلى الباب السادس وهو:

"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"

وقول الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [50]

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [51]

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[52]

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [53]

وفي الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، ودَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ –) [54]

في هذا الباب من الآيات ما استدل به الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – على تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، فبدأها بقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [55]

ومعنى قوله : ﴿ يَدْعُونَ ﴾ : أي يعبدون ، وهذا دليل على أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها إلَّا لله.

ومعنى أيضًا ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : أي يطلبون ، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : أي يطلبون إلى ربهم.

---

[50]) سورة الإسراء ، الآية : 57
[51]) سورة الزخرف ، الآيتان : 26 - 27
[52]) سورة التوبة ، الآية : 31
[53]) سورة البقرة ، الآية : 165
[54]) الراوي:طارق بن أشيم الأشجعي ، المحدث:الألباني ، المصدر:صحيح الجامع ، الجزء أو الصفحة:6438
[55]) سورة الإسراء الآية 57

ومعنى ﴿ الْوَسِيلَةَ ﴾ : القربى بالطاعة والعبادة ، ولا يجوز في عبادة الله – عز وجل – اتخاذ وسيلة غير التي شرعها النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – من العبادات والدعاء وغير ذلك مِمَّا ثبت عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – ؛ وهذا دليل على أن الوسيلة عبادة ، ومَنْ غَيَّرَ العبادة وغَيَّرَ هذه الوسيلة واتخذ وسائل غير مشروعة فإن ذلك لا يفيده.

ومعنى قوله : ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ : معنى ﴿ أَقْرَبُ ﴾ : أقرب المدعوين إلى ربهم وأفضلهم ، أولئك الذين يعبدون الله ويتقربون إليه بالطاعات وبالدعاء ولا يخترعون مُخْتَرَعَات .

ومعنى ﴿ مَحْذُورًا ﴾ ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ ، معنى ﴿ مَحْذُورًا ﴾ : يحذره ويحترس منه المؤمن ، فلا يأتي من الأمور ما يكون سببًا في عذابه وغضب ربه عليه ، بل يأتي من الأمور المشروعة ؛ من الأدعية المشروعة ، والعبادات المشروعة ، والوسائل المشروعة التي تقربه إلى الله – عز وجل – ، ففي هذه الآية يخبرنا الله – سبحانه وتعالى – أن هؤلاء الذين يعبدهم المشركون مع الله – عز وجل – من الملائكة والصالحين ؛ هم أنفسهم يطلبون التقرب إلى الله بالطاعة والعبادة ويمتثلون أوامره رجاء رحمته ، ويجتنبون نواهيه خوفا من عذابه ؛ لأن عذابه يخشاه ويحذره كل مؤمن.

–فكيف تعبدهم وهم يعبدون الله – عز وجل – ويرجون الله – عز وجل – ؟!!

وهذا دليل على أنهم لا ينفعون أحد ولا يجلبون نفعا ولا يدفعون ضرا ، فأنت تصرف ما هو لله لهؤلاء الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم من الصديقين والشهداء ؛ هذا هو – يعني – دليل على عدم العقل ، على عدم العقل والتفكُّر في آيات الله – عز وجل – التي تَنهَى عن عبادة غير الله – سبحانه وتعالى. –

–وفي الآية فوائد:

–أولها : بطلان عبادة المشركين لغير الله ؛ بكون معبوديهم أنفسهم يطلبون القربى من الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

ومنها : صلاح المعبودين لا يُبررُ الشرك بهم ، مهما عَظُمَ صلاح المعبودين لا يجوز لك أن تعبدهم من دون الله ! فصلاحهم لأنفسهم ، وأمَّا أن تشرك بهم فهذا أمرٌ مرفوض وهو شركٌ بالله – عز وجل – ، لا الأنبياء ولا الملائكة ولا الصالحين ولا الشهداء ولا الصِّدِّقِين ولا أحد مهما بلغ صلاحه أن يكون هذا الصلاح مبررًا

لأن تدعوه من دون الله ، أو ترجوه من دون الله ، أو تسأله من دون الله ، أو تطلب منه ما لا يقدر عليه إلّا الله.

–ومنها أيضًا من الفوائد : إثبات صفة الرحمة لله – عز وجل – ، وقد تقدّم معنا في دروسٍ مضت عقيدة أهل السنَّة والجماعة في الأسماء والصفات.

–ومنها أيضًا : يسير المؤمن إلى الله بين الخوف والرجاء إلّا في حالة الاحتضار فيُقوّي جانب الرجاء.

ولذلك تدل هذه الآية على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ؛ هو ترك ما عليه المشركون من دعاء الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم إلى الله ، وأنه لا يكفي النطق بالشهادة ما لم يَكفُر بكل معبودٍ سوى الله ، والآيات غير هذه الآية أيضا تدل على ذلك.

–وقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [56]: إبراهيم – عليه السلام – كان يتبرأ من تلك المعبودات التي يعبدها أقاربه ، بل وأبوه وعشيرته ، كانوا يعبدون تلك المعبودات وهو يتبرأ إلى الله منها ، فيقول : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ ؛ فتبرأ – عليه السلام – من جميع المعبودات إلّا معبودًا واحدًا ؛ وهو الله – سبحانه وتعالى. –

فلا بد أن تتبرَّأ أخي المسلم من جميع المعبودات التي تُعبَد من دون الله.

ومعنى قوله : ﴿ بَرَاءٌ ﴾ : أي متبرئٌ من معبوداتهم .

ومعنى قوله : ﴿ فَطَرَنِي ﴾ : أي خلقني ، معنى﴿ فَطَرَنِي ﴾ في هذه الآية : أي خلقني .

ومعنى قوله : ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ : أي يوفقني ؛ وهذا هداية التوفيق ، فليست لأحد إلا لله – سبحانه وتعالى–

ولذلك أهل العلم يقولون بأن الهداية تنقسم إلى قسمين:

---

[56]) سورة الزخرف [الآيتان 26-27]

–هداية توفيق : وهذه لله – سبحانه وتعالى – ،و من أراد أن يُوفِّق إنسانًا لخير أو شر فإن ذلك شرك بالله – عز وجل – ، فهداية التوفيق بيد الله – سبحانه وتعالى – لا يستطيع أن يُوفِّق أحدٌ أحدًا سواء لخير أو لشر أبدًا .

–وأمَّا القسم الثاني : فهو هداية البيان والإرشاد والدلالة والدعوة : فكل هذه من تعلم دين الله – عز وجل – وعرفه عن طريق العلم الصحيح فعليه أن يدعو الناس وأن يبين للناس ، وأن يبين لهم الطريق الصحيح الذي يعبدون الله – عز وجل – به ، فمن شاء الله – عز وجل – وفقه ، ومن شاء حال بينه وبين التوفيق.

ففي هذه الآية أيضًا يخبرنا – سبحانه وتعالى – أن رسوله وخليله إبراهيم – عليه السلام – قد أخبر أباه وقومه أنه بريء من جميع معبوداتهم ، إلَّا معبودًا واحدًا وهو الله الذي خلقه ، والذي يَقدِر على توفيقه وبيده نفعه وضره.

–وفي هذه الآيات من الفوائد :

– أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد.

–ومنها أيضًا : الجهر بالحق من صفات المرسلين ، وهنا نقول للدعاة أن تجهروا بالحق في كل مكان ، بعض الناس يجهر بالحق حيث لا يكون قرابة ولا يكون في قومه ؛ ففي قومه يلتمس لهم المبررات على أفعالهم المخالفة حتى ولو كانت شرك ، وفي الناس يصدع ، هذا لا أبدًا مهما كان القريب من أشرك بالله أو ظهر عليه مخالفة لله – عز وجل – فلا بد أن تصدع بالحق ، وأن تبين للناس الحق على ما أمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – في طريقته وفي دعوته للناس وبيان الحق للناس.

–ومنها أيضًا : وجوب إنكار المنكر ولو كان على الأقربين ، بل قد يكون واجبًا عليك الإنكار على الأقربين ؛ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [57] نعم – فلذلك بعض الناس يسافرون ويذهبون إلى أماكن كثيرة ويدعون الناس وتجد في أقاربهم على أكثر من ما عند الناس من المخالفات ويتركونهم.

---

[57]) سورة الشعراء الآية 214

-ومنها أيضًا : وجوب البراءة من الشرك ؛ لا بد أن تتبرأ من الشرك ، والآيات تدل على ذلك ، منها هذه الآية قول إبراهيم : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [58]، ومنها : قول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ [59]

فلذلك البراءة من الشرك مُقدَّمةٌ على إثبات التوحيد ، والآيات تدل على ذلك ، ولذلك من تبرأ من الشرك فلا بد أن يوحد الله – عز وجل. –

-ومنها أيضًا : بيان أن قوم إبراهيم يعبدون الله ولكنهم يشركون معه ؛ وهذا أمرٌ جعلهم بعيدين تمامًا عن التوحيد ؛ فالتوحيد لا بد أن يكون العمل خالصًا لله – عز وجل –لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد تشركه مع الله – عز وجل – في العبادة ؛ بل تخلص العبادة لله – عز وجل. –

-ومنها أيضًا : أن هداية التوفيق خاصة بالله – عز وجل – ليس لأحد فيها شيء.

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [60]

ومعنى قوله : ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ : أي جعلوا ؛ جعلوا من دون الله أربابا.

و﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ : علماؤهم.

و﴿ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ : العباد ، عبادهم.

﴿ أَرْبَابًا ﴾ : معبودين من دون الله.

﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ : هو عبد الله ورسوله عيسى – عليه السلام. –

قال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ : أمرهم الله على ألسنة رسله.

-أمرهم بماذا ؟

[58]) سورة الزخرف الآية 26

[59]) سورة البقرة الآية 256

[60]) سورة التوبة الآية 31

بأن يعبدوا الله – عز وجل – ويتركوا عبادة ما سواه.

ومعنى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ : تنزيهٌ وتقديسٌ عمَّا يُدَّعى معه من النظراء والأنداد والأضداد ، فلا بد أن تُخلِّص عبادتك ها من النظراء والأنداد والأضداد ، فتكون العبادة خالصة ، وهذا تنزيه لله – عز وجل – ، فيخبرنا – سبحانه وتعالى – أن اليهود والنصارى قد انحرفوا عن الصراط السوِّي ، وأتوا ما لم يأمروا به فاتخذوا علمائهم وعبَّادهم آلهة لهم يعبدونهم من دون الله ؛ وذلك أنهم يطيعونهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحلَّ الله فيشركون معه في التشريع ولم يكتفِ النصارى بذلك بل عبدوا عيسى – عليه السلام – واعتبروه اِبنًا لله ، ولم يُأمرُوا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله وحده – فتعالى الله وتنزَّه عمَّا ينسبه إليه المشركون . –

–وفي هذه الآية فوائد :

–أن طاعة غير الله في مخالفة أحكام الله من الشرك ، وهذا قد يقعُ فيه كثير من الناس إلا رحم الله – عز وجل – ، فبعض الناس عندهم مخالفة شديدة في هذا الباب ، وذلك أنه يستسلم للعلماء كل الاستسلام ، وينفذ كل ما يقولونه حتى ولو خالفوا شريعة الله .

–لمـــــاذا ؟

لأن العالم ليس معصوم ، قد يخطئ ، فاتباعك لخطئه وتعصبك لخطئه شبهٌ بأولئك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

فلذلك لا بد للإنسان أن يكون حذرًا ، وأن يعرض ما يسمعهُ من أقوال العلماء على الكتاب والسُنَّة ، وأن يبحث ويجتهد في التعلُّم ، ولا يستسلم لكل قول ؛ الاستسلام المطلق لقول الله – عز وجل – ولقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، أمَّا العلماء فيُؤخذ منهم ما وافق الكتاب والسُنَّة ويُردَ عليهم ما خالفوه.

–ومنها أيضًا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

– ومن الفوائد أيضًا : لا يُعتبر العمل صالحًا إلا بشرطين ؛ الإخلاص لله والمُتابعة لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، حيثُ قال : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [61]

–ومنها : عدم العصمة للعلماء ؛ وهذا يقع فيه كثير من طلبة العلم إلَّا من رحم الله ، وإن كانوا لا يُصرِّحون بالعصمة ، ولكنهم يجمدون على أقوال العلماء ، وهذه من المصائب التي بُليَ بها كثيرٌ من طلبة العلم إلَّا من رحم الله .

فالتعصب للعلماء دليل على أن أولئك لم يعرفوا ولم يؤمنوا تمامًا أن هذا العَالِمُ مُعرضٌ للخطأ ، وقوله معرضٌ للخطأ ، فهنا الجمود على أقوال العلماء مصيبة ، ولو لم يصرحوا بعصمتهم.

وبعضهم يقول : أأنت أعرف من الشيخ ؟

تقول : قال الله قال الرسول.

قال : أنت أعلم منه ؟ !!

ألا يعلم قال الله وقال الرسول ؟!!

و هذه من البلايا ومن عدم الفقه.

–ومنها أيضًا : بيان انحراف اليهود والنصارى عن دينهم الصحيح ،

فكما دب الانحراف في اليهود و النصارى عن أديانهم السماوية التي نزلت ، أيضًا هناك من المسلمين من انحرف عن دين الإسلام الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وآله سلم. –

وأسباب الانحراف كثيرة:

–منها : اِتباع العلماء بغير دليل.

–ومنها : التعصب المذهبي.

– ومنها : التسليم لأقوال الرجال.

---

[61]) حسنه الألباني في سنن الترمذي

-ومنها أيضًا : خطر العلماء الضالين على الأمة ، العلماء لا بد لهم أن يُعلِّمُوا الناس أن هذا الدين أساسه التوحيد ، ويُعلِّمُوا الناس سنة النبي – صلى الله عليه و سلم – ، وأن لا يتقربوا إلى الله إلا بسنة النبي – صلى الله عليه و سلم – ، ويُعلِّمُوا الناس أنهم وإن كانوا علماء إلَّا أنهم معرضون للأخطاء ، ولا يجعلوا الناس يتعصبون لهم ، بل يحذرون الناس من ذلك.

و في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ [62]

ومعنى ﴿ الأنداد ﴾: أي النظراء .

وقوله : ﴿ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ : يساوونه في المحبة مع الله ، يساوونه في المحبة مع الله.

﴿ أَشَدُّ ﴾ : أعظم وأقوى ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

ومعنى قوله ﴿ ظَلَمُوا ﴾ : أي ظلموا في الدنيا بشركهم ؛ وهذا دليل على أن الشرك ظلم ، فيجب أن تتجنب هذا الظلم ، وأن تعبد الله – عز وجل – ، فهو ظلم لنفسك وأنت تظلم نفسك حين أن تعبد غير الله ، تظلم نفسك حين أن تشرك مع الله ، تظلم نفسك حين أن تَشرَع عبادة ما شرعها الله ، تظلم نفسك حين أن تخترع في العبادات ما لم يأتِ به النبي – عليه الصلاة و السلام – ؛ كل ذلك ظلمٌ للنفس.

وقوله : ﴿ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ : يبصرون عذاب الله يوم القيامة ؛ فهنا لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل ! هناك انتهى العمل !

فإذا نظرت في ذلك اليوم تبصر حقيقة ما أُنذِرتَ منه في الدنيا ، تبصر حقيقة ما جاء في كتاب الله وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – من النذارة والبشارة وغير ذلك من المأمورات والمنهيات ، تبصرها عيانًا وترى ذلك بعينك.

وفي هذا يخبرنا الله – سبحانه وتعالى – أنّ بعض الناس ينصبون لهم أصناما يحبونهم كحبِّ الله ، ثم بيَّن سبحانه أن المؤمن أقوى حبًّا لله من المشركين في المحبة ؛ وذلك أن المؤمنين خالص حبهم لله ، وأن المشركين

[62]) البقرة [الآية : 165]

متفرقٌ حبهم بين الله وأصنامهم ، ومن كان حبه خالصًا لله كان حبه لله أقوى مِمَّن كان حبه مشتركًا بين محبة الله ومحبة أصنامهم .

ثم يتوعد الله – سبحانه وتعالى – هؤلاء المشركين ويبين لهم أنهم حينما يرون ويبصرون العذاب يوم القيامة حالًا بهم سيتمنون أنهم لم يشركوا مع الله غيره لا في محبة ولا في غيرها ، وسيعلمون علم اليقين أن القوة كلها لله وأن الله شديد العذاب .

–وفي هذه الآية من الفوائد :

– أن المحبة نوع من أنواع العبادة ؛ ولذلك ابن القيم يذكر أن العبادات تدور تحت أربعة أمور : المحبة والدعاء والرجاء والخوف ، جميع العبادات تدور حول هذه الأمور ؛ فلذلك قال في نونيته :

"والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند أيا كان من حجر ومن إنسان

تدعوه أو ترجوه ثم تخافه و تحبه كمحبة الديان"

هذه الأمور ضروري أن تُخلَص لله – عز وجل – ، وهذه المحبة والخوف والرجاء والدعاء هذه من أعظم أنواع العبادات ؛ لأن جميع العبادات تدور حولها ، فلذلك لا بد من الإخلاص هنا.

–ومن الفوائد أيضًا : إثبات أن المشركين يحبون الله ؛ لكن هذا لم ينفعهم لوجود الشرك فيه ، يحبون الله ويشركون معه ، فهذا ما يستقيم أبدًا ، لا بد أن يكون الحب لله – عز وجل – خالص.

–ومنها أيضًا : نفي الإيمان عمَّن أشرك مع الله في المحبة.

–ومنها أيضًا : إثبات صفة القوة لله – عز وجل – وكمالها.

وفي هذا دليل أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو : إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة جميعها لله.

وفي الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وكَفَرَ بِمَا يُعبَد مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىَ اللَّهِ – عَزّ وَجَلّ –) [63]

قوله : (مَنْ قَالَ لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ) : أي نطق بها وعرف معناها وعمل بمقتضاها ، فكم من الناس الذين يقولون " لا إله إلا الله " وهم لا يعرفون معناها فضلًا عن أن يقعوا في نواقضها ؛ فلذلك لابد أن تعرف ما معنى " لا إله إلا الله " ، فإذا عرفت المعنى فإن ذلك – بإذن الله عز وجل – يقودك على ألّا تقع فيما يناقضها.

قال : (وكَفَرَ بِمَا يُعبَد مِنْ دُونِ اللَّهِ) : أنكر كل معبودٍ سوى الله بقلبه ولسانه ؛ لأن المنافق يعترف بلسانه وينكر بقلبه ، أمَّا المؤمن فيتفق لسانه وقلبه ؛ فيعتقد بقلبه الإيمان الصحيح وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه ، هذا هو المؤمن وهذا هو الإيمان الصحيح.

قال : (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ) : حرُم أخذ ماله وحرُم قتله ، من قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

قال : (وَحِسَابُهُ عَلَى الله) : أي يتولى حسابه يوم القيامة فإن كان صادقًا أثابه ، وإن كان منافقًا عذبه .

فليس لك أن تشق عن قلب من قال : " لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله "

هل أنت صادق أو لست صادق ؟

هذا ليس أمرك ؛ فهذا يُوكَل أمره إلى الله – عز وجل – ، إنما يؤخذ منه ظاهره ، ما ظهر على لسانه ، وتُوكَل سريرته إلى الله – عز وجل – .

ففي هذا الحديث أن من شهد أن لا إله إلا الله وأنكر بقلبه ولسانه كل معبودٍ سواه فإنه يُحرَم على المسلمين أخذ ماله إلا ما أوجبه الشرع ؛ كالزكاة ، ويُحرَم سفك دمه إلا ما أوجبه الشرع ؛ من زنىً بعد إحصان ، أو كفرٍ بعد إيمان ، أو القصاص ، وإن محاسبته على سريرته متروكةٌ إلى الله يوم القيامة ، فإن كان صادقًا أثابه وإن كان كاذبًا منافقًا عاقبه.

–وفي هذا الحديث من الفوائد:

[63]) الراوي : طارق بن أشيم الأشجعي | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج المسند .

-أولًا : فضيلة الإسلام حيث يعصم دم معتنقه وماله ، يعصم ماله ودمه ، فهذه من فضائل الإسلام.

-ومنها : وجوب الكف عن الكافر إذا دخل الإسلام ، ولو في أثناء القتال حتى يُعلَم منه خلاف ذلك ؛ وما قصة ذلك الرجل الذي قتله زيد بن حارثة منا ببعيد .

-ومنها : أن الشخص قد يقول " لا إله إلا الله " ولا يكفر بما يعبد من دون الله ؛ فهنا لا تنفعه تلك الشهادة.

-ومنها : أن شروط الإيمان النطق بلا إله إلا الله والكفر بكل ما يُعبَد من دون الله.

-ومنها : أن الحكم في الدنيا على الظاهر فليس لنا أن ندخل في السرائر.

-ومنها أيضًا : تحريم أخذ مال المسلم إلَّا ما وجب في أصل الشرع ؛ كالزكاة أو تغريمه ما أُتلَف ، أمَّا ما عدا ذلك فلا يؤخذ ، بل أخذه ظلم .

نكتفي بهذا القدر ، ونسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا وإياكم للطاعة وأن يثبتنا على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و أصلي و أسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين أما بعد :

فقد وصلنا في هذا الكتاب العظيم وهو كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله – إلى الباب السابع وهو باب :" من الشرك لبس الحلقة و الخيطة ونحوهما الرفع بلاء أو دفعه "

ومعنى هذا ؛ أي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد وكما أسلفت في دروس مضت أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – متشبه بالإمام البخاري في تبويبه على الصحيح ولذلك تجد هنا فقه الشيخ في التوحيد والعقيدة في الأبواب، ولذلك لابد لطالب العلم أن يتنبه لهذا ، واستدل –

رحمه الله – على هذا الباب و هو باب " من الشرك لبس الحلقة و الخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه " بقوله – تعالى–:﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ([64]

فالله – عز وجل – في هذه الآية يأمر نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بأن ينكر على هؤلاء المشركين عبادتهم لتلك الأصنام العاجزة ؛ التي لا تستطيع إزالة ضرٍ نزل بأحد ولا إمساك نعمةٍ نزلت بأحد ، ثم يأمره بأن يفوض أمره إلى الله فهو كافيه في جلب النفع ودفع الضر وكافٍ كل من اعتمد عليه وصدق في الاعتماد ؛ فلذلك لابد من الصدق مع الله – عز وجل – في اللجوء والاعتماد والرجوع إليه حين أن يكون أصابه مكروه ، كأن يرجع إلى الله – عز وجل – وأن يسأله رفع ذلك الضر وإذا أصابته نعمة فليرجع نعمة ذلك إلى الله أنه هو الذي جلب له ذلك النفع ورزقه ووفقه ، إلى غير ذلك ، فلابد للعبد أن يكون كذلك .

ومعنى قوله –تعالى – ﴿ أفرأيتم ﴾ : أي أخبروني ، والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿تدعون ﴾ : أي تعبدون وتسألون .

ومعنى ﴿ الضّر﴾: أي ، أيّ يضرني إما مرض أو فقر أو بلاء .

﴿كاشفات ﴾ : أي مزيلات.

هذه المعبودات أو هؤلاء الذين ترجعون إليهم في كشف الضر أو جلب النفع لا ينفعونكم بشيء وإنما ذلك شرك ، فلذلك أمر بالبعد عن ذلك .

﴿ برحمته ﴾ : أي نعمته من صحة أو غنى أو غير ذلك .

ومعنى قوله ﴿ ممسكات ﴾ : أي مانعات رحمته عني ، فلا أحد يمنع رحمة الله ولا أحد يرفع ما أراد الله لإنسان من ضر أو نفع .

و معنى قوله ﴿حسبي الله ﴾: أي كافيني.

ومعنى التوكل هنا في هذه الآية ؛ أي الاعتماد على الله – عز و جل – .

---

[64]) سورة الزمر[الآية:38]

وفي هذه الآية فوائد منها :

– وجوب إنكار المنكر .

– ومنها : بطلان عبادة الأصنام .

– ومنها : أن كشف الضر وجلب النفع من خصائص الله – عز وجل – .

– ومنها : وجوب التوكل على الله والاكتفاء به عما سواه ، وهذا لا ينافي عمل الأسباب المشروعة.

وفي الحديث عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – : (أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه و سلم– رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ ، فَقَالَ : " مَا هَذِهِ ؟ " ، فَقَالَ : مِنْ الْوَاهِنَةِ ، فَقَالَ : " اِنْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا ") رواه أحمد بإسنادٍ لا بأس به .

ومعنى ذلك : أن عمران بن حصين – رضي الله عنه – أخبره النبي – صلى الله عليه و سلم – رأى في يد رجل حلقة من الصُّفْرِ فسأله عن هدفه من لبس هذه الحلقة ، فأخبره أنه يريد بها دفع مرض (الواهنة) ، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بخلعها وأخبره أنها لا تزيده إلا ضعفًا ومرضًا ، وأنه لو مات وهو مصرٌّ عن لبسها والاعتقاد بها ؛ لم يفز ولم يظفر بالسعادة الأبدية .

والحلقة : هي ما أحاط بالشيء ، فتوضع على المِعصَم أو على السَّاعِد ، وتوضع أحيانًا على العَضد ، ومنها ما يوضع شبيهًا بما يُسمى الخلخال على القدمين .

وهنا ، والواهنة ؛ (الواهنة) عرق يأخذ في المنكب أو في اليد ، كلها ، وهو غالبًا في الرجال دون النساء ، فأمره أن ينزعها ، ومعنى ينزعها ؛ ارميها بقوة.

ولا تزيدك إلا وهنًا : أي لا تزيدك إلا ضعفًا ومرضًا وقلقًا ، ومعنى قوله في الحديث (مَا أَفْلَحْتَ) أي ما فُزتَ وظفرت بالسعادة في الآخرة .

وفي الحديث فوائد منها :

– استفصال المفتي ؛ منها استفصال المفتي أي أن يسأل :

– لماذا وضعت هذه ؟

فإن رأى أنه وضعها بمثل هذه الأمور ويعتقد فيها أنها تدفع ضرا أو تجلب نفعا ، فإن ذلك شرك لا بد أن ينزعها .

– ومنها : اعتبار المقاصد ، ولذلك الأمور بالمقاصد ، قد لا يقصد فيها شرك ، قد لا يقصد أنها تميمة ،قد لا يقصد أنها شيء وهكذا .

ومنها أن مراتب الإنكار تتفاوت ، فإذا نفع الكلام حرم التغليظ فيه .

– ومنها : بيان جهل المشركين قبل الإسلام .

– ومنها : تحريم التداوي بالحرام ؛ وهذه التمائم والحلق وغيرها مما حرم الله – عز وجل – .

– ومنها : أن الحرام لا ينفع في الأصل وإن نفع في بعض فمضرته أكبر .

– ومنها : لا يُعذر الشخص بجهله مع إمكان التعليم ، لا يعذر الإنسان أو الشخص بجهله مع إمكان التعليم .

ومنها : أن الأعمال بخواتيمها ، ولذلك قال (لو مِتَّ وهى عليكَ ما أفلَحْتَ أبدًا)، ما أفلحت أبدًا .

وهنا أمر وهو أن هذا الحديث لا يعارض حديث علي بن الحسين مرفوعًا

(احرُثوا فإنَّ الحرْثَ مبارَكٌ وأكثِروا فيهِ منَ الجَماجِمِ)(65) لأن حديث علي بن الحسين حديث ساقط مرسل وهو من مراسيل أبي داوود ، وأبو داوود لم يشترط الصحة في مراسيله ؛ ثم على فرض صحة الحديث فإن المراد بالجماجم هو البِذر عند كثير من العلماء .

والاستفهام في قوله " ما هذا " يحتمل أن يراد به الانكار ، ويحتمل أن يكون استفصالًا على الحقيقة .

وأيضا ذكر بعض العلماء أن لبس الحلقة ونحوها لدفع الضرر من الشرك الأصغر.

والذي يُفهم من حديث عمران أنه : شرك أكبر ، لأنه ترتبَ عليه عدمَ الفلاح المؤبد ؛ ويُمكن التفصيل في ذلك بحسب النية والاعتقاد ، فإن اعتقدَ أنها تفعلُ بنفسها من دون الله فهو : شركٌ أكبر ، وإن اعتقدَ أنها سبب وأن الفاعل هو الله فهو : شركٌ أصغر .

[65]) الراوي:علي بن الحسين بن علي المحدث:السيوطي المصدر:الجامع الصغير الجزء أو الصفحة:250 حكم المحدث:مرسل

إذا فلا بد لنا من هذا التفصيل في مثل هذه الأمور التي أصلها من الشرك الأصغر و لكن عند الاعتقادْ أنها : تجلبُ نفعًا ، أو تدفعُ ضرًا من دون الله – عزَّ وجل – فإن ذلك ينتقل من كونهَا شركٌ أصغر إلى شرك أكبر – والعياذُ بالله – .

وله عن عقبة بنِ عامرٍ مرفوعًا : (من تعلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ومن تعلقَ ودعةً فلا ودعَ اللهُ له ؛ وفي روايةٍ عنه أنه قال: من تعلَّقَ تميمةً فقد أشرك).(66)

ومعنى تعلقَ : أي علقها على نفسه أو أحدٌ من ولدهِ ، والتمائم : جمعُ تميمة

وهي: خرزٌ يُعلقونهَا ، وقد تُعلقْ ، يتَعلقها الإنسان ، أو قد يُعلقهَا على غيره وقد يعلقها على أبنائه أو قد يعلقها على الدوابْ أو قد يُعلقها الآن على سيارة يظنُ أنها تحميه من العين ؛ قال : (لا أتمَّ اللهُ) أي لهُ ؛ لا أتم الله له جميع أموره وهذا خبر بمعنى الدعاء عليه – نسأل الله العافية والسلامة – .

والودعة أيضًا هو شيء يستخرجونه من البحر يشبه الصدف يعتقدون أنه يشفي من العين ؛ وهذا من أنواع الشرك – أيضًا – الأصغر.

قال (لَا وَدَعَ اللهُ لَهُ) ؛ لا جعله في دعة وسكون ؛ وهو دعاء عليه أي يخبرنا عقبة بن عامر– رضي الله عنه – في هذا الحديث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا على كل من علق تميمة أو ودعة معتقدًا فيها النفع دون الله فإن الله لا يتم أموره بل ويحرمه من الدعة والسكون وأخبر أن مثل هذا عمل باطل ؛ بل أخبرنا في رواية أخرى أن التميمة شرك لأن صاحبها اعتقد فيها النفع دون الله – تعالى –.

وفي الحديث فوائد منها :

نفي النفع المعتقد في التميمة والودعة .

– ومنها : جواز الدعاء على العصاة على سبيل العموم.

– ومنها : أن بعض الصحابة قد يجهلون مثل هذا فكيف بمن بعدهم ، فكيف بمن بعدهم .

3) الراوي:[عقبة بن عامر] المحدث: ابن باز المصدر: فتاوى نور على الدرب لابن باز الجزء أو الصفحة:341/1 حكم المحدث: ثابت

– ومنها : ومنها أن التميمة نوع من الشرك.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه

وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ([67])

في هذا الحديث يخبرنا حذيفة أنه زار مريضًا فوجد في يده خيطًا ، فلما سأله عن غرضه من هذا الخيط ، فأخبره أنه لدفع الحمى ، فقطعه حذيفة واعتبره شركًا مستدلًا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ومعنى الآية أن كثيرًا من الناس لا يكون مؤمنا بالله ولكن يخلط إيمانه بالشرك ، – ومنها أن كثيرًا من الناس يكون مؤمنا بالله ولكن يخلط إيمانه بشرك والعياذ بالله.

مثل هذه الأمور التي يظن بعض الناس أنها ليست شركًا وهي شركٌ ؛ فتجده من المصلين ومن الذين يذكرون الله قياما وقعودا ويحج ويصوم ويزكّي وغير ذلك من أعمال البر ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكن عنده مثل هذه التخليطات ؛ فهذا خلط إيمانه بشرك والعياذ بالله .

وفي الحديث فوائد :

– إزالة المنكر باليد ولو لم يأذن صاحبه .

– والثاني منها : أن اتخاذ الخيط ونحوه لدفع الضرر شرك بالله – عز وجل –

– ومنها : وجوب إنكار المنكر على ما جاء في مراتب إنكار المنكر .

– ومنها أيضًا : عمق فهم الصحابة – رضي الله عنهم – وسعة علمهم .

– ومنها : أن الشرك يوجد في هذه الأمة .

– ومنها :أن قلب الشخص قد يجتمع فيه الإيمان والشرك – نسأل الله العافية والسلامة–.

فلذلك دراسة التوحيد ؛ دراسة جادة أمر ضروري للناس جميعًا ، ليس لطلاب العلم فقط ، بل للناس جميعًا أن يتعلموا التوحيد وأن يصرفوا عليه من الأوقات ما لا يُصرف على غيره من أبواب العلم ؛ لأن التوحيد أمرٌ ضروري وهو الأساس الذي تُبنى عليه سائر العبادات ، فإذا قبل توحيدك فنسأل الله –عزوجل– أن

---

[67]) سورة يوسف [الآية:106] .

يوفقك لذلك ؛ فإذا لم تكن كذلك فلابد لك أن تجعل لنفسك من السؤال عند العلماء لكي تتعلم حتى تسلم من الشرك صغيره وكبيره .

وأكتفي بهذا القدر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِله رَبِّ العَالَمِين ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّم عَلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين

أَمَّا بَعْد :

أيها الإخوة والأبناء ، وصلنا في هذا الكتاب وهو كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – إلى الباب الثامن وهو " باب ما جاء في الرقى والتمائم " ؛ أي ما جاء في الرقى والتمائم من النهي وما ورد عن السلف في ذلك .

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِير الأَنْصَارِي ﷺ : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً : أَنْ لاَ يُبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ إِلَّا قُطِعَت . أخرجه البخاري في الجهاد .

ومعنى ذلك رسولًا أو معنى قوله رسولًا : هو زيد بن حارثة هو زيد بن حارثة .

ومعنى وتر : هو واحد من أوتار القوس كانت العرب تعلقه تتقي به العين .

فذلك يخبرنا في هذا الحديث أبو بشيرٍ الأنصاري أنه صحب رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا لله –صلى الله عليه وسلم – الله رسولًا – هو زيد بن حارثة – ليأمر بقطع قلائد الأوتار التي تُعلَّق في رقاب الإبل ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يُعلِّقُون ويعتقدون أنها تحفظ من العين .

وفي هذا الحديث فوائد :

– منها : وجوب إنكار المنكر .

– ومنها : قبول خبر الواحد .

– ومنها أيضًا : إبطال اعتقاد النفع في القلائد من أي نوعٍ كانت .

– ومنها : نائب الإمام يقوم مقامه فيما أُسنِد إليه ؛ وهذه الفائدة الأخيرة وهي قوله : " نائب الإمام يقوم مقامه فيما أُسنِدَ إليه " دليلٌ على أن الصحابة ﷺ كان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يُنيبهم في بعض الأشياء ويأتمرون بأمره ولا يتقدمون بين يدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بفعل أمرٍ إلّا إذا أمرهم بذلك ولذلك هذا مما أثر عنهم ﷺ .

وفي الحديث أن عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ الرُّقَى ، وَالتَّمَائِمَ ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

والرُّقى : هي العزائم ؛ والمشروع منها ما توفرت فيه ثلاث شروط :

أولًا : أن تكون بكلام الله ، أو أسمائه وصفاته ، أو الأدعية إلى الله ﷻ و الاستعاذة به .

الثاني : أن تكون بلسان عربي يفهم معناها ؛ وليست بالتمتمات وشيءٍ لا يفهم كما يفعله بعض المشعوذين والعرافين .

الثالث من تلك الشروط : أن لا يُعتقد أن العزائم تنفع بذاتها ؛ وإنما يعتقد النفع حاصلًا لقضاء الله وقدره ﷻ هذه ثلاثة شروط في الرقى والعزائم المشروعة ، وماعدا ذلك فليس بمشروع .

ومعنى التمائم : جمع تميمة ؛ وهي ما يعلقونه من الخرز ونحوها على الصبيان اتقاء العين ، وكذلك تعلق أيضًا على البهائم وغيرها اتقاء العين .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته ، وهذه مما ابتلي بها كثيرٌ من الناس إلا من رحم الله ﷻ ، وسبب اندفاع الناس إلى مثل هذه الرقى والتمائم الغير مشروعة ؛ جهل الناس بالتوحيد وعدم دراسته ، و أيضًا جهل الناس بما يقوم به هؤلاء الذين ينشرون مثل هذه الرقى والتمائم من أجل أن يتكسبوا بها عيشًا وهذه بلوَى – نسأل الله العافية والسلامة –

لذلك يُخبرُ ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ أخبرنا بأن الرُقى وهي : العزائمُ و التمائمُ وهي التي تُعلقُ على الأطفال من الخرز ونحوها ، والتولة وهي التي تُصنع لتُحببُ أحد الزوجينِ إلى الآخر بأنها شرك إلا ما قامت عليها الشروط الثلاثة ، ولذلك في هذا الحديث ؛ حديث ابن مسعود فوائد منها :

- الأول : تحريم الرُّقىَ وأنها من الشرك إلا ما كان منها مشروعًا .

- والثاني : تحريم التمائم وأنها من الشرك .

- والثالث : تحريم التِولة وأنها من الشرك ؛ لذلك لابد للعبد أن يبتعد عن مثل هذه الأمور التي تقدحُ في توحيدهِ ، ويكونُ بذلك يتسببُ لنفسهِ في الانحرافِ والزيغ عن مُرادِ الله ﷻ بما شرَعَهُ ومَا أمرَ بِهِ .

عَنْ عَبْدِ اللهَ بْنِ عُكَيْمٍ – مَرْفُوعًا – : (مَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ) رواه أحمد ؛ (مَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ) .

ومن تَعلَّقَ : و معنى من تَعَّلَقَ شَيْئًا : أي علَّقَ رجائهُ وخوفهُ به .

(وُكِلَ إِلَيْهِ) : تُرك أمره له ، فمن اعتمد على الله وأنزل به حوائجه ؛ حفظه ويسّر له جميع أموره ، ومن اعتمد على غيره خُذل – والعياذ بالله – ، ولذلك هذا الحديث فيه إخبار من " عبدالله بن عُكيم " أنّ النبي ﷺ أخبره أنّ من اعتمد على شيءٍ ترك أمره له ، فمن أنزل حوائجه بالله فُرِّجَ كربه ، ويُسِّر أمره ، ومن اعتمد على غير الله تُرك أمره له فخذله ، لأنّ الخير كله بيد الله ولا يستطيعه أحدٌ سواه.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا ويثبتنا للخير وأن يُعلمنا ما ينفعنا .

وفي هذ أيضًا ؛ حديث "عبد الله بن عكيم " فوائد منها :

- وجوب التوكل على الله وهذا لا يُنافي فعل الأسباب المباحة.
- ومنها خُذلان من انصرف عن الله و طلب النفع من غيره .

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : (يَا رُوَيْفِعُ ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا ، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ) رواه أحمد وأبو داوود في الطهارة وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ومعنى قوله : (عَقَدَ لِحْيَتَهُ) : عقدها على وجهٍ يُشعِر بالتكبر أو يشعر بالتأنث ، وقيل عقدها في الصلاة .

ومعنى قوله : (تَقَلَّدَ وَتَرًا) : علقه في رقبة دابته من أجل العين ؛ والوتر هو واحد أوتار القوس .

ومعنى قوله : (اسْتَنْجَى) : أي استجمر .

(بِرَجِيعِ) ؛ ومعنى الرجيع : هو روث الدواب .

ومعنى قوله : (بَرِيءٌ مِنْهُ) : بريء من فعله هذا ، وهذا يدل على تحريم هذه الأفعال ، يدل على تحريم هذه الأفعال .

فلذلك هذا الحديث فيه أنَّ النبي ﷺ أخبره بأن الحياة ستطول به ، وأن عليه أن يخبر الناس سلفًا ، عن النبي ﷺ بأن من عقد لحيته أو قلد في رقبته أو رقبة دابته واحدًا من أوتار القوس أو استجمر بروث دابةٍ أو عظم فإن محمدًا ﷺ بريء من فعله هذا ، والنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لا يتبرأ من أمرٍ إلا إذا كان محرمًا على العبد ، فلذلك دارسة التوحيد ودراسة ما جاء به النبي ﷺ أمر مطلوبٌ للمسلم ، أن يقضي أو يمضي فيه جل أوقاته ليتعلم ويعبد الله ﷻ على علمٍ ، ولا يعبده على جهل .

وفي هذا الحديث فوائد :

أولًا : معجزةٌ للنبي ﷺ حيث قال : عمر رويفع كما أخبر .

– ومنها : قبول خبر الواحد .

– ومنها أيضًا : تحريم عقد اللحية .

– ومنها : تحريم تقليد الوَتَر .

– ومنها أيضًا : تحريم الاستجمار بروث دابةٍ أو عظم ، وإنما حرم الاستجمار بها لأن العظم طعامٌ للجن والروث طعام بهائمهم .

وهذا الحديث أيضًا فيه خيرٌ كثير لمن أراد ، وفقهٌ كثير لمن أراد وهذا أيضًا .

وفي الحديث أيضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ ؛ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ . رَوَاهُ وَكِيعٌ وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا أَوْ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ .

والقطع : هو الإزالة ؛ أن تزيل التميمة من رقبة إنسان أو حيوان تلقاه ، فلذلك النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة أن لا يبقوا تميمةً ولا قلادةً إلا قطعوها .

– وهذا أيضًا فيه : فضل إنكار المنكر إنكار المنكر .

– وهو أيضًا فيه : تحريم التميمة .

– وأيضًا فيه : فضل إعتاق الرقبة .

– وأيضًا : تحريم السلف للتمائم سواءً كانت من القرآن أو غيره على خلافٍ بين أهل العلم في القرآن ؛ ولكن الصحيح ما جاء عن السلف أن ذلك كله محرمٌ ولا فائدة فيه ، لأنه يصرف الإنسان إلى التعلق بغير الله ﷻ .

نكتفي بهذا القدر ، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم للطاعة وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد وأن يأخذ بنواصينا ونواصيكم إلى الحق وإلى اتباع هدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس التاسع

بسْمِ الله الرحمَن الرحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِين وأصَلِّي وأسلِّم على المَبْعُوث رَحْمَةً للعَالَمِين نبِيّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمَّا بعدُ :

أيها الإخوة والأبناء وصلنا في هذا الكتاب وهو كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – كتاب التوحيد إلى الباب التاسع وهو " بابُ من تبركَ بشجرةٍ أو حجرٍ أو نحوها "

وحكم ذلك التبرك ، وحكم ذلك التبرك أنه شركٌ أكبر لكونه تعَلقَ قلبه بغير الله في حصول البركة من هذا المُتبرَّك به وحكمه شرك ، واستدل الإمام – رحمه الله – على هذا الباب بقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ

وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾(68)

ومعنى قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ﴾ : أي أخبروني .

و﴿ اللَّاتَ ﴾ : بالتخفيف مأخوذٌ من اسم الإله ، وبتشديد التاء اسمٌ لرجلٍ صالحٍ يَلُتّ السويق للحجاج ، فلمَّا مات عكفوا على قبره وبَنَوا عليه أستارًا ، يعبده ثقيف ومن حولهم .

ومعنى قوله ﴿ الْعُزَّىٰ ﴾ : مأخوذٌ من اسم العزيز ؛ وهي شجرةٌ في واد نخلة بين مكة والطائف عليها بناءٌ وله أستارٌ وسَدَنَة يعبدها قريش وبَنُو كِنانة .

ومعنى ﴿ وَمَنَاةَ ﴾ : مأخوذٌ من اسم المَنَّان ؛ وهي بناء بالمُشَلَّل عند قُدَيْدٍ بين مكة والمدينة ،كانت خزاعة والأوس والخزرج يعبدونها ويُهِلُّون منها للحج .

وهذه الأسماء التي ذكروها واشتقوها من أسماء الله – سبحانه وتعالى – ، قال بعض أهل العلم : " إن اشتقاق اسم من أسماء الله وإطلاقه على معبوداتٍ أخرى من الإلحاد في أسماء الله " ذكر ذلك العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – في شرحه على العقيدة الواسطية .

ومعنى قوله في الآية ﴿ الْأُخْرَىٰ ﴾ : أي المُتأخِّرة .

ومعنى قوله ﴿ ضِيزَىٰ ﴾ : أي قسمةٌ جائرة ، قسمةٌ جائرة ؛ فالله – عز وجل – أنكر على المشركين عبادة الأوثان عامة وفي مقدمتها تلك الأوثان الثلاثة وهي :

– اللَّات : في الطائف .

– والعُزَّى : في واد نخلة – أي على طريق السيل الآن – .

– ومناة : في المُشَلَّل عند القُدَيْد .

فيتحداهم في هذه الأصنام

---

[68]) سورة النجم ، الآية : 19

- هـــل تنفع شيئًا فتدفع الضر وتجلب النفع ؟!

- أمْ أنها مجرد أسماء سَمَّوها ما أنزل الله بها من سلطان ؟!

وكذلك ينكر عليهم تلك القسمة الجائرة لو وقعت بين مخلوقٍ ومخلوق ؛ وهي جعلهم ما يكرهون من الإناث الضعيفة لله – عز وجل – وما يحبون من الذكور لأنفسهم .

فإذا كانت ظُلمًا بين المَخلُوقَيْن فكيف يجعلونها لله – عز وجل – ؟!

تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرا وتَنزَّه عن البنين والبنات .

- وفي هذه الآية فوائد :

- منها : وجوب إنكار المنكر ، وجوب إنكار المنكر على الطريقة السنيَّة النبويَّة السلفيَّة لا على طريقة الجماعات في إنكار المنكر .

- ومنها : بطلان عبادة الأوثان حتى لو اشْتَقُّوا لها من أسماء الله – عز وجل – فما تنفع ذلك ! بل ما تزيدهم من الله إلَّا بُعدا .

- ومنها : وجوب تنزيه الله – عز وجل – عن البنين والبنات ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

- ومنها : فساد الفطرة عند المشركين ، حيث أضافوا البنات إلى الله مع كراهيتهم لها وهم يزعُمون مع ذلك أنهم مُتقرِّبُون إليه .

ثم استدل الإمام – رحمه الله – على ذلك :

بقول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في الحديث : (عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ – وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ – ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قَالَ : فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اللهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا السُّنَنُ ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ

لِمُوسَى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [69]لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) [70]رواه الترمذي وصححه .

وفي هذا الحديث أمورٌ وفوائد كثيرة :

يخبرنا أبو واقدٍ الليثي ﷺ أنه صَحِبَ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى غزوة حنين ، وقد عَلِمُوا أن للمشركين سدرة يتبركون بها ويقيمون عندها ، ولِجِدَتِهم أولِجِدَّتِهم أو لِحداثة عهدهم بالإسلام وعدم إحاطتهم بأهدافه طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم سدرة ؛ يتبركون بها ويقيمون عندها كما كان لأهل الجاهلية ، فتعجب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – من هذا الطلب ، وكبَّرَ الله – عز وجل – ونزَّهه عن مثل هذا ، وأخبرهم أن طلبهم هذا منه مثل طلب بني إسرائيل من موسى حينما طلبوا منه أن يجعل لهم إله يعبدونه غير الله ، بعدما أنجاهم من فرعون وقومه ، ثم أخبر أن هذه الأمة ستعمل عمل اليهود والنصارى في كل شيء من الشرك وغيره .

نسأل الله العافية والسلامة .

فلذلك الأمر يحتاج إلى دراسة للتوحيد ، ودراسة جادة ودراسة جادة ، فإذًا كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – والنبي – عليه الصلاة والسلام – بين أظهرهم وهم يطلبون مثل هذا !!

– فكيف بنا وقد تأخر بنا الزمن إلى اليوم وكثر أو وطال العهد بيننا وبين هذه الدراسة للتوحيد ، ونسي كثيرٌ من الناس التوحيد – إلَّا من رحم الله – ؟ !!

وذلك بسبب ما يدور من دعاة الباطل حيث صوروا للناس أن الناس أو أن الشرك قد انقضى من الناس وأنتم تُدرِّسُون التوحيد وكأنَّ الناس مشركين ؛ وهذه من الشبه ، ولذلك عندما تنظر في دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – منذ أن بعثه الله – عز وجل – إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو يتكلم في التوحيد ليل نهار ، حتى وهو على فراش الموت كلما أفاق من سكراته قال :

(لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)[71] ؛ تقول عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – " يُحذِّر ما صَنَعُوا " .

---

[69]) [الآية : 138 الأعراف]

[70]) رواه الترمذي وصححه .

[71]) أخرجه البخاريُّ (١/ ٣٣٣) كتاب «الجنائز» بابُ ما جاء في قبر النبيِّ وأبي بكرٍ وعمر، ومسلمٌ (١/ ٢٣٩) كتاب «المساجد ومواضع الصلاة»، مِنْ حديثِ عائشة - رضي الله عنها - .

وأزيدك أيضًا أن هذا القرآن الذي أنزله الله – عز وجل – من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وهو يُكرّر التوحيد ؛ وهذا دليلٌ على أنّ العبد لا بد أن يُكرّر التوحيد ، ويتعلم التوحيد ليل نهار ، حتى يموت وهو يتعلم .

أسوتنا في ذلك كتاب الله – عز وجل – ودعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – منذ أن بعثه الله – عز وجل – إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو يُردّد التوحيد ؛ فهذا الذي لا بد أن نكون عليه .

وفي هذا الحديث فوائد :

– منها : استحباب إظهار ما يدفع الغيبة حيث قال : (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) ؛ أي أنّنا لم نتعلم طلبنا طلب من النبي ﷺ .

– ومنها : صعوبة انتزاع العادات من نفوس البشر ، انتزاع العادات من نفوس البشر أمر يحتاج إلى دعوة جادّة ؛ لأنّ الأنفس إذا تعوّدت على شيء كما قيل : " من شبَّ على شيءٍ شابَ عليه " ؛ فلذلك نزع العادات ونزع التَوجّهات إلى غير الله أمر لا بد أن يتعلمه طُلاب العلم .

كيف كانت دعوة النبي ﷺ ؟

كيف كان ينتزع تلك العادات وتلك التَوجّهات من صدور وأنفس الصحابة – رضي الله عنهم – ؟ فنحن نقتدي بالنبي ﷺ .

– ومنها : أن الاعتكاف من أنواع العبادة ؛ فقال : (يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا) ، (كَانَ لَهُم شَجَرَةٌ يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا) ، وهذا دليل على أن الاعتكاف نوعٌ من أنواع العبادة ، فلا يجوز هذا الاعتكاف إلَّا فيما أمر به النبي ﷺ وشرعه الله – عز وجل – ، أمَّا ما عدا ذلك فلا يجوز .

– ومنها : يُعذَر الجاهل بجهله إذا ارتدع بعد العلم ، وفي هذا ردٌّ على أولئك الذين يَشتطُّون على الجهلة ويخرجونهم من الإسلام قبل أن يعلموهم ، ويرَون أنه لا يُعذَر أحد ويطلقون ذلك ، بل إن هذه من البلايا التي بُليت بها الأمة في هذا الزمن .

ولذلك ما الفائدة من قول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[72]

[72]) سورة الإسراء الآية (15)

أين يذهبون بهذه الآية ؟!

فلذلك من فَعَلَ أمرًا يجهل حكمه فلا بد أن يُعلَّم وتُقام عليه الحجة ، أمَّا أن يُكَفَّر مباشرة فهذه من البلايا .

– ومنها أيضا : تحريم التشبه بأهل الجاهلية من مشركين وغيرهم ، تحريم التشبه ؛ لَمَّا رأى النبي ﷺ أنهم سيفعلون مثل فعل المشركين نهاهم – النبي ﷺ – بل إن النبي ﷺ كبَّر في هذا .

– ومنها : جواز قول " الله أكبر " عند التعجب ، لا يعتزي بأحد ؛ بعض الناس إذا رأى شيئًا غريبًا أو فاجأه أمرٌ رهيبٌ اعتزى بأمور ليست من السنة في شيء ، إنما السنة إذا رأيتَ شيء هالك أو رأيت أمرًا أزعجك أو فاجأك فقل : " الله أكبر" ؛ فهذه سنة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – .

–ومنها : وجوب سد الذرائع ، منها وجوب سد الذرائع حتى لا يبقى لأحدٍ ذريعة يتذرع بها ، فلذلك نهاهم النبي ﷺ بالتشبه بالكفار .

– ومنها : أن الشرك سيقع في هذه الأمة ، والله – عز وجل – أخبر في القرآن :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [73]

قال أهل العلم : يصلون ويصومون ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويحجون ويعتمرون ، ومع ذلك يتعلقون ببعض الأولياء والصالحين أنهم يجلبون نفعًا أو يدفعون ضرًا ، أو يحلفون بغير الله ، أو يصرفون من العبادات لغير الله ما يصرفون ، وكل ذلك تعلقات ، إنما لا بد أن يكون العبد خالص لله عقيدة وعبادة لله – عز وجل – لا يصرف منها شيء إلَّا لله – عز وجل – .

– ومنها : جواز الحلف على الفُتية ، جواز الحلف على الفُتية ، ولذلك قال النبي ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده) ؛ هذا حلف

(وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) : جواز الحلف على الفُتية إذا كنت تعلم أن الفُتية صحيحة وأنها من ما أمر الله به وأمر به النبي – عليه الصلاة والسلام – ، فلك أن تحلف على الفُتية .

– ومنها : جواز الحلف بدون استحلاف لمصلحة جواز الحلف بدون الاستحلاف لمصلحة ، ولذلك الصحابة لم يستحلفوا النبي ﷺ وإنما حلف لهم لأن في ذلك مصلحة .

---

[73]) سورة يوسف الآية : 106

– ومنها : أن هذه الأمة ستعمل كل ما عمله اليهود والنصارى – نسأل الله العافية والسلامة – .

إذًا ؛ فلا بد للعبد من دراسة التوحيد وتكراره ومن دراسة سنة النبي ﷺ ومن دراسة سير أصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ؛ لنعلم كيف قاموا بهذا الدين وكيف تقبلوه وكيف نشروه ، ففي فهمهم وفيما قاموا به علمٌ كثير وخيرٌ كثير لمن اقتدى بهم .

– ومنها : أن ما ذُمَت به اليهود والنصارى تحذيرٌ لنا ؛ كلَّ مَا جاء من ذم لليهود والنصارى والمشركين وغيرهم في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ ؛ فهو يؤخذ منه تحذيرٌ لنا على أن لا نقع فيما وقعوا فيه ، فلذلك من هنا لا بد من الدراسة الجادة للتوحيد .

نكتفي بهذا القدر وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِين وأصَلِّي وأسلِّم على المَبْعُوث رَحْمَةً للعَالَمِين نبِيّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعدُ :

فقد وصلنا في هذا الكتاب العظيم كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – إلى الباب العاشر وهو قوله " بابُ مَا جَاء في الذَّبْح لغَيْر الله " أي ما جاء من النهي والتحريم ، أي ما جاء من النهي والتحريم : الذبح لغير الله .

وقد أورد المؤلف – رحمه الله – في هذا الباب قول الله – تعالى – : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[74] ، وقوله – جل وعلا – : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾(75) ، فأورد حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال : (حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ) رواه مسلم .

---

[74]) سورة الأنعام ، الآية : 162 .

[75]) سورة الكوثر ، الآية : 2 .

وكذلك أورد – رحمه الله وغفر له – حديث طارق بن شَهَبٍ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : من دخل الجنة ، حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، قَالُوا وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ ، حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ ، فَقَالَ لَيْسَ لِي عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ ، قَالُوا لَهُ قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ ، وَقَالُوا لِلْآخَرَ قَرِّبْ ، فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ) رواه أحمد .

وفي قوله – تعالى – : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[76] يأمر الله نبيه محمَّدًا – صلى الله عليه وسلم – بأن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله أن صلواته وذبحه وما يفعله في الحياة من الأعمال وما يموت عليه من الإيمان والأعمال الصالحة جميع ذلك خالصًا لله دون من سواه ، وأنه أول من انقاد واستسلم لطاعة الله – عز وجل – في هذه الأمة .

فلذلك :

– معنى قوله – جل وعلا – : ﴿ صَلَاتِي ﴾ : المراد بها الصلوات الخمس والنوافل .

– ومعنى ﴿ نُسُكِي﴾ : أي ذبحي أي ذبحي ؛ وهذا دليلٌ على أن الذبح عبادة لا يجوز إلا لله .

– ومعنى قوله : ﴿ مَحْيَايَ ﴾ : أي ما آتيه في حياتي من الأعمال لله – عز وجل –

– ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ : أي ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح فهو لله – عز وجل – خالصٌ لوجهه ، أو المراد حياتي وموتي بيد الله ، فيكون في الآية توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية .

– قال : ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ : أي بالإخلاص لكل أمرٍ أقوم به أن يكون لله لا لأحدٍ سواه .

– ومعنى قوله : ﴿ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: أي من هذه الأمة .

– وقوله – جل وعلا – : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ : المراد: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾أي الصلوات خالصة لوجه الله

---

[76]) سورة الأنعام [الآيتان : 162-163] .

– والنحر معناه الذبح : باسمك ربي متقربا لك .

وفي الآيتين فوائد :

منها : أن الصلاة والنسك عبادة ، أن الصلاة والنسك عبادة لا يجوز فعلها إلا لله – جل وعلا – .

ومنها : أن جميع أعمال العبد الصالحة في الحياة إذا أراد بها التقرب إلى الله انقلبت عبادة .

ومنها : أن العبرة بالأعمال خواتيمها ، وهذا يذكرنا بحديث النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – : (مِنَ النّاسِ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ذِرَّاع ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا ، وَمِنَ النَّاسِ – أَيضًا – مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَبْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ذِرَاعًا فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَ النَّارْ) (77)

وكذلك من الفوائد في هذه الآيتين :

أن الإخلاص لله شرط لقبول العمل .

ومنها أيضًا : وجوب التقرب إلى الله بالصلاة .

ومنها أيضًا : وجوب التقرب بالذبح إلى الله دون سواه فلذلك لابد للعبد أن تكون أعماله خالصة لله – عز وجل – .

وفي الحديث عن علي – رضي الله عنه – قال : (حدثني رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –بأربع كلمات : لعنَ اللهُ مَن ذبحَ لغيرِ اللهِ ، لعنَ اللهُ مَن لعنَ والدَيْهِ ، لعنَ اللهُ مَن آوَى مُحْدِثًا ، لعَنَ اللهُ مَن غيَّرَ منارَ الأرضِ) رواه مسلم .

ومعنى اللعن في هذا الحديث أي : الطرد والإبعاد من رحمة الله من المخلوق الداعي والسب وغير ذلك .

ومعنى (ذبحَ لغيرِ اللهِ) : أراق الدم متقربًا به إلى غير الله سواءً ذكرَ اسم الله عليه أم لم يذكرهُ ، وهنا لابد من ملاحظة :

---

[77]) " إنَّ أحدَكم - أو : الرجلُ - يعملُ بعملِ أهلِ النارِ ، حتى ما يكونُ بينَه وبينها غيرَ باعٍ أو ذراعٍ ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخُلَها ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ، حتى ما يكونُ بينَه وبينها غيرَ ذراعٍ أو ذراعيْنِ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخُلَها "
الراوي : عبدالله بن مسعود المحدث : البخاري المصدر : صحيح البخاري الجزء أو الصفحة : 6594 حكم المحدث : [صحيح]

بعضَ الناس يقول كيف أذبحُ لله ويأتيني ضيف فأذبحْ للضيفْ ؛ فنقولُ الذَبْحَ لله وهذا ليس فيه إشكال ، إنما يكونُ الذبح لله لأن الضيف أمرك الله – عز وجل – أن تُكرمهُ وقد صح في الحديث : (من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ ؛ فلْيُكرِمْ ضَيفَه) ([78])

فأن يكون المعنى : أنا أذبحُ لله – عز وجل – إكرامًا لضيفيِ ، أذبحُ لله – عز وجل – إكرامًا لضيفيِ فبهذا يزول الإشكال الذي يدعيه بعض الناس .

ومعنى (والدَيْهِ) : المراد بهم الأم والأب وإن علوْا .

ومعنى (آوَى) : نصر وحَمَى ، (آوَى مُحْدِثًا) أي : نصره وحماه .

ومعنى (مُحْدِثًا) : بكسرِ الدَالِ : جَانِيًا بفتحَ الدَالِ مُبْتَدِعًا في الدين وعلى الأخير يكونُ معنى آوى : رضيَ به وصَبَرَ عليهِ .

ومعنى (مَنَارُ الأرضْ) : المراسِيمْ التي تُفَرِقُ بينهُ وبينَ جيرانهُ ؛ فبعضَ الناسْ من يُغيرْ ذلك وهذا فيه لعنْ وهذا فيه لعنْ ؛ فلذلكَ يُخبرنا علي – رضي الله عنه – أنه سمع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – يلعن كل من تقربَ بالذَبحْ إلى غيرِ الله وكل من لعنَ والديهِ مباشرة أو تسبب ، و كل من نصر وحمى جانيًا ، وكل من غير مراسيمه لاغتصاب الأرض ، وهذا يحدث كثيرًا بين الناس ولذلك هذا الحديث يحاكي أمور موجودة بين الناس ؛ فأول هذه الأربع : (لعنَ اللهُ مَن ذبحَ لغيرِ اللهِ) وهذا يحدث كثير من الذبح لغير الله كما يفعله أهل البدع الذين يذبحون للأولياء وغيرهم ، وكذلك لعن من لعن والديه : (لعنَ اللهُ مَن لعنَ والدَيْهِ) وليس الأمر أن يلعن والديه مباشرة وإنما يتسبب أيضًا في لعنهما كأن تلعن فلان كما صح في الحديث : (يَسُبُّ أباهُ ، فيَسُبُّ أباهُ) ([79]) وهذا تسبب في لعنَ والديه ، وكذلك (لعن من آوى محدثًا) ، وهذا يكثر ؛ كم من المُحدِثين في دين الله – عَزَّ وَجَلَّ – الذين يَعمِد بعض الناس جهلًا منه في إيوائهم ونصرتهم وغير ذلك !

ومعنى قوله : (لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ) : وهذا يحدث ، وهذا يحدث كثيرًا بسبب طمع الدنيا ؛

---

[78]) الراوي : عبدالله بن عمرو المحدث : الألباني المصدر: صحيح الترغيب الجزء أو الصفحة :2566 حكم المحدث : صحيح

[79]) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ) .
رواه البخاري- كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه- حديث: 5636، ومسلم- كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها- حديث:155

يطمعون في الدنيا فيغير المنار ؛ يغير الحدود التي بينه وبين جيرانه فيستحل من أراضيهم ما حرم الله–عز وجل

وفي الحديث هذا فوائد :

– تحريم الذبح لغير الله .

– ومنها : تحريم لعن الوالدين مباشرة أو تسببًا .

– ومنها : تحريم مناصرة المجرمين والرضا بالبدع – نسأل الله العافية والسلامة – .

– ومنها : تحريم تغيير المراسيم لاغتصاب أراضي الغير .

ومنها : جواز لعن الفُسَّاق على سبيل العموم ، ومنها : جواز لعن الفساق على سبيل العموم .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

(دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ) ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ ، قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ ، قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ : قَرِّبْ ، فقَالَ : مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ) رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وفي هذا الحديث إخبار من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن رجلين لعلهما من بني إسرائيل مرّا بأناس لهم صنم فطلبوا منهما أن يقربا لذلك الصنم ولو شيئًا قليلا ، فقدم أحدهما ذبابًا فقال له هذا التقريب ؟ ، فقال : أُقرّب ، فما علم أنه يقرب لغير الله – عز وجل – ، فانظر إلى دقة العمل وقلته ، وانظر إلى عِظَم جرمه ، فاستوجب لذلك النار ودخلها وامتنع الآخر بقوة إيمانه وكمال توحيده فقتلوه فدخل الجنة ، ولذلك الذي كان في قلبه الإيمان رأى أن هذا الذباب الذي يقربه على قلته وحقارته أن عِظَم جرمه أكبر من ذلك بكثير فمنعه إيمانه من ذلك فمنعه إيمانه من ذلك ، ولذلك لا بد للعبد أن يشتغل في زيادة الإيمان في قلبه ، فمن زاد الإيمان في قلبه لا يحتقر المعاصي ولا يحتقر الشرك صغيره وكبيره فتجده ينفر ، صاحب الإيمان ينفر من الشرك وينفر من المعاصي لما وقر في قلبه من الإيمان وحب الله – عز وجل – .

وفي هذا الحديث أيضًا فوائد :

عظم الشرك وإن كان قليلًا .

ومنها : أن الجنة والنار موجودتان .

ومنها : أن المقصود الأعظم عمل القلب حتى عند عبدة الأوثان – شوف –المقصود منها عمل القلب حتى عند عبدة الأوثان – ها – يرون أن عمل القلب هو الأمر الذي يقرونه عليه ، فلذلك حقيق تقريب الذباب ، ولكن ينظرون لما في قلبه أنه رضي بالتقريب .

– ومنها أيضًا : قرب الجنة والنار من الإنسان .

– ومنها : التحذير من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان .

– ومنها : بيان سعة مغفرة الله وشدة عقوبته .

– ومنها : أن الأعمال بالخواتيم .

نسأل الله أن يختم لنا ولكم بالصالحات وأن يوفقنا وإياكم لإقامة التوحيد وأن يوفقنا وإياكم إلى الثبات على الحق وعلى السنة إلى أن نلقى الله – عز وجل – إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبهذا نأتي إلى نهاية هذه العشر الأبواب الأولى من هذا الكتاب ، ونسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا لإكمال ما بقي من الأبواب في لقاءات أخرى ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اسمحوا لي في هذا اليوم أنا متعب قليل ولذلك – يعني – لست مركزًا مع الدرس كما يجب ، وأسأل الله – عز وجل – أن يوفقني وإياكم للطاعة وأن يثبتنا على الحق .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .